كاظم جهاد

الماء كلّه وافد إليّ

١٩٨٦ - ١٩٩٤

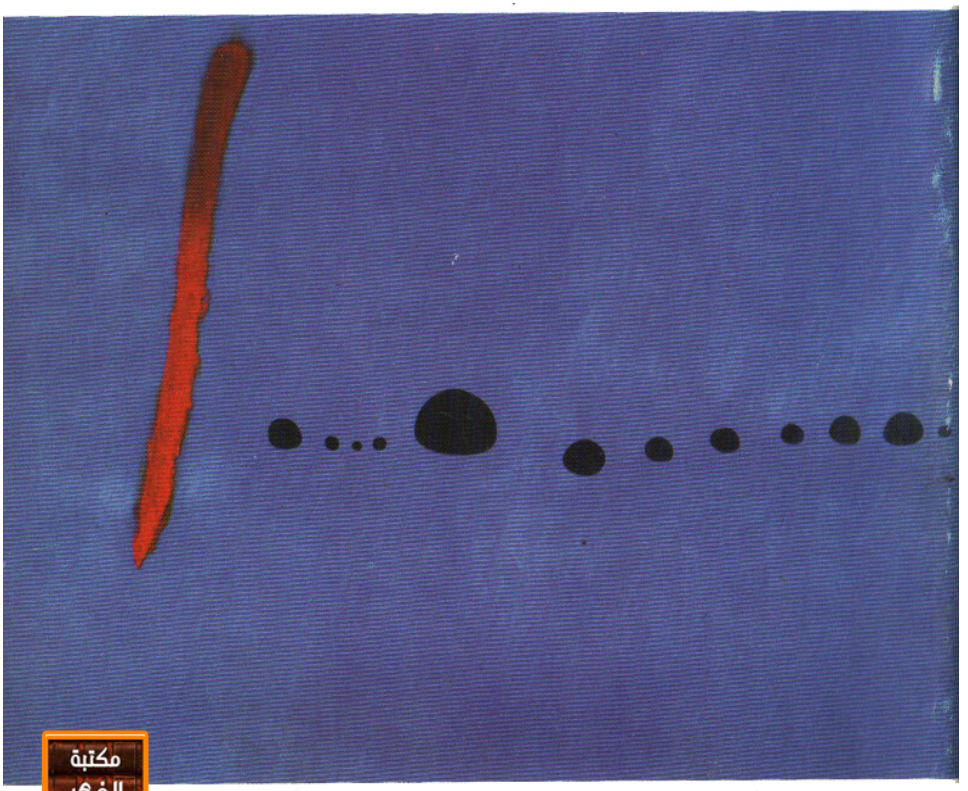

مكتبة الفكر الجديد

الماء كله وافد إليّ

مكتبة الفجر

الماء كلّه واقف إليّ / شعر عربيّ
كاظم جهاد / مؤلّف من العراق
الطبعة العربيّة الأولى ، ١٩٩٩
حقوق الطبع محفوظة

المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، ساقية الجنزير ، بناية برج الكارلتون ،
ص. ب : ٥٤٦٠ ـ ١١ ، العنوان البرقي : موكيالي ،
هاتفاكس : ٨٠٧٩٠٠ / ٨٠٧٩٠١
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص. ب : ٩١٥٧ ، هاتف : ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس ٥٦٨٥٥٠١
تصميم الغلاف والإشراف الفنّي :
سمير سيفو ®
لوحة الغلاف :
خوان ميرو / إسبانية

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه ، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات ، أو نقله بأيّ شكل من الأشكال ، دون إذن مسبق من الناشر .

مكتبة الفكر الجديد

كاظم جهاد

الماء كلّه وافد إليّ

١٩٨٦ - ١٩٩٤

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

إهداء

-جمعتُ في هذا الكتاب صفحاتٍ مختارةً من محاولاتي الشعريّة الممتدّة على الفترة بين ١٩٨٦ و١٩٩٤ ، على أنْ تصدر الأشعار اللاحقة للعام ١٩٩٤ في كتابٍ آخر . ولقد رأيتُ من اليُمن أنْ أُذَيّل الكتاب بوريقات معدودة من قصائد البدايات (٧٢-١٩٧٧) . وطوال الفترة بين التاريخ الأخير و١٩٨٦ لم يزرْني الشعر إلاّ لماماً . هي صفحات لم أجدْ فيها ما يمكن أن أُغامر بتقديمه للقاريء .

-على كونها منتخبات ، فالصفحات التالية هي كلّ ما أتمسّك به من محاولاتي في الكتابة الشعريّة السابقة للعام ١٩٩٤ . وهي تضمّ ، فيما تضمّ ، قصائد «سرديّة» وأُخرى «تأمليّة» ، من النوع المعروف في الشعر الغربيّ الحديث والذي ما برحت القصيدة العربيّة مُحجمةً إزاءه . كما أدخلتُ فيها قطَعاً من النثر الفنيّ (يُميّزها القاريء من طبيعة النبْر) ولدتْ مع القصائد ولم «تشأ» الافتراق عنها .

-القصائد القصيرة الأربع التي تختتم الكتاب («زُرقة» ، «يجيئون أُبصرهم» ، «سليمان» و«مرثيّة الطفولة») ، مجتزأة من مجموعة من أشعار السابعة عشرة كُتبَتْ في الناصريّة (جنوب العراق) في ٧٢-١٩٧٣ ، وصدرتْ ببغداد في ١٩٧٤ بعنوان «يجيئون أُبصرُهم» .

-نُشرَت «مقاطع بغداديّة» بعنوان «إحالات» في «الأديب المعاصر» (بغداد) . و«فُلول» في «الأقلام» (بغداد) . و«شارداً كان حتّى من الوقت» في «الأديب المعاصر» . و«كتبتُ لكم عن بلاد»

مكتبة الفكر الجديد

بعنوان آخر نسيتُه ، في «الآداب» (بيروت) . و«مرثيّة نفسي» ومقاطع من «تكريس الكيان أيّاً كان عدَمه» في «اليوم السابع» (باريس) . و«جُزر الداخل» في «السفير الثقافيّ» (بيروت) . و«مساءات» و«ساعة الانتهاء من كلّ شيء» وقطَع عديدة من «أغاني جنون الكائن» و «تدابير سفرٍ قادم» في «الكرمل» (قبرص) . وصيغة أولى من «عراقيّات» في «المدى» (دمشق) . وبضع قطَع من «تدابير سفَر قادم» في «الاغتراب الأدبيّ» (لندن) و«أصوات» (لندن) . و«مرثيّة أحمد أمير» و«كلمة في رحيل الأب وسطَ هالةٍ من النور» في «الحياة» (لندن) .

ك . ج .

ليون (فرنسا) ، نهايات ١٩٩٨

مكتبة الفكر الجديد

المجموعة الأولى

مرثيّة نفسي وقصائد أخرى

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

مرثيّة نفسي

كاظماً يا عزيزي
يا صديقي الوحيدْ
أنتَ يا مَن تُعيِّدُ في قلبِه الطُرقاتْ
وتنامُ على حزنِه الرحبِ كلُّ المُدُنْ
ها أنا أشربُ اليومَ نخبَكْ
أتذكَّرُ موتَكَ في كلِّ لحظةْ
يومَ جئتَ وحيداً
تفتّشُ عنْ مُمْكنٍ للصداقةْ
وتبحثُ في الكتبِ النادرةْ
عن صدى قلبِكَ المستغيثْ
وعن ملجأٍ لليأليكَ . . . ها أتَذكَّرُ موتَكَ
في ثلجِ ألمانيا
ومساءاتِ مدريدَ ،
في ترفِ الآنسات
كنتَ تبحثُ عن مقعدٍ يحتويكْ
عن وجوهٍ تغادرُ من أجلِ صَمْتكَ خدعَتَها الماكرة
وتلهو وإيّاكَ في لَعبِ صادقٍ أوَ كلامْ
كان زيفُ النفوسِ يَعذّبُ قلبَكْ
وكنتَ
تُفَتِّشُ لكَ عن وَجْهْ .

كاظماً يا عزيزي
ربّما تدركُ الآنْ
أنَّ هذا الفراغْ
فيكَ ، في قلبِكَ المُتَهالكْ
ليسَ يملأُهُ الآنَ غيرُكْ
أنَّ روحَكَ ، وهيَ الكسيرةْ ،
لن تتشكّلَ إلاّ على راحتَيْكْ
أنَّكَ أنتَ الذي يتعَهَّدُ بالنفسِ ، يُمْسِكُ بالنفسِ مثلَ حصانْ
ويقولُ لها : إنّه يومُنا
يُشرقُ الآنَ من عَتَماتِ الدّواخلْ
كيفَ كنّا نغادِرُهُ لنفتّشَ في زُحمةِ الآخرين
عن شفوفٍ من الوَهمِ بالكادِ تُغري؟

ينبغي الآنَ أن أنبشكْ
من تلالِ الكلامْ
ينبغي الآنَ أن أنبشَكْ
من غبارِ القواميسِ والكتُبِ الحائلةْ
أن أصيحَ بهذا الركامِ من البَشرِ السادرين :
صاحبي ماتَ من كَثْرِ أشغالِهِ
ومن طولِ صمتِ القصيدةْ .

ينبغي أن أجسَّ لكَ النبضَ ،
أن أتحسّسَ أعضاءَكَ المائتة

مكتبة الفكر الجديد

واحداً واحدا
أفما زالَ فيكَ بعضُ حياةْ؟
أتموتُ كذا
ولَمّا تَكَدْ تتخطّى الثلاثينْ؟
أتستسلِمُ الآنَ للمدِّ ، هذا الذي
كنتَ بالأمسِ لا تستريح
إذا لم ترُدَّ جحافلَهُ الغازيةْ
موجةٌ موجةَ عن شطوطِكْ؟
أتتركُني هكذا فارغاً ووحيدا؟

مثلَ ذاكَ الأميرِ المصوَّرِ في «الزمنِ المُسْتَعاد»
لكَ أنْ تجلدَ الآنَ وجهَ المياه
التي ابتَلَعَتْ
سُفُني
وعطاياي
فَهيّا بنا
نجلد البحرَ ، هيّا بنا
نجلد البحرَ ، حتّى العَبَث .

فادحٌ كلُّ هذا الضّياع
وموجعَةٌ كلُّ هذي المسيرةْ
فادحٌ كلُّ هذا التعطّش للحبِّ ، هذا الذي
صاغَهُ كورتاسار :

مكتبة الفكر الجديد

- هو الحبُّ مثلُ الضيافة ، تشعُرُ فيه
بأنَّكَ مُسْتَقْبَلٌ عن حَقيقةْ
وأنَّ دواخِلَ أُخرى
تتفتَّحُ عندَ اقترابِك .

كاظماً يا عزيزي
أبداً لن يُضيء
غيرُ حزنِكَ أنتَ الفتى المُتَوحِّدْ .
كاظماً يا عزيزي
أبداً لن يجيء
غيرُ وجهِكَ أنتَ يتيم المدُنْ .
كاظماً يا عزيزي
أبداً لن يُعَزّيكَ غيرُ الكلام الذي
يتصاعدُ من جُرحِكَ المُتناهي .

كنتَ بالأمسِ في جَنَوةْ
باحثاً عن صدى خطواتِكَ في العُشْبْ
كنتَ بالأمسِ في قلبِ روما
تحدِّقُ بالخُبزِ والبائعات
وتقرأُ في الخُبزِ والبائعات
حروفَ ضياعِكَ ، يا لَلْجنون!

كنتَ بالأمسِ في ليلِ إشبيليةْ

مكتبة الفكر الجديد

تراقِبُ سَيْرَ المسيح
على الماءِ في صُحْبَةِ السيّدات
ذواتِ الوشاحِ المُطَرَّزْ!

كنتَ بالأمسِ في قُرطبةْ
تتساءلُ عَمَّنْ تَكونْ
كنتَ بالأمسِ في عَتَباتِ الشمال
تفتِّشُ عن بارقٍ ليتامى الجَنوب!

هُوَذا
تُدركُ الآنَ
أنَّكَ وحدَكَ في قاعِ قلبِكْ .

كم تساءلْتَ أينَ تروحُ الليالي
وما تفعَلُ الكائنات
حين نبقى هنا ساهِرينَ نَعُدُّ النجومْ؟

تلمحُ الآنَ نفسكَ في لعبةِ الأضويةْ
تلمحُ الآنَ نفسكَ في مهمهِ الطُرقاتْ
تلمحُ الآنَ نفسكَ في غفلةِ العابرينَ عن العابرينْ
تلمحُ الآنَ نفسكَ في كلِّ شيء
سوى في قرارةِ نفسِك!

مكتبة الفكر الجديد

ألمحُ الآنَ وجهَكِ عبر الطُّرُقْ
ألمحُ الآنَ وجهكِ يا سيّدةْ
يسألُ العابرينْ
عن فتىً غاصَ في حزنِ نفسِهِ حتّى الضياعْ
عن فتى خاضَ في جوعِ نفسِهِ حتّى الثمالةْ .
ألمحُ الآنَ دمعتَكِ الهاطلةْ
وهي تغرَقُ في البحرِ ، ألمحُ عبرَ المسافةْ
صُبْحَ وجهكِ يُشْرقُ دُنيا على الكائناتْ
ألمحُ الآنَ وجهَكِ يا أُمُّ . . .

مَنْ أنا يا ترى في المسافةْ؟
خائرٌ أَمْ قويّ؟
هل أفتّشُ عن جُزُرٍ نائيةْ
أَمْ تراني أهربُ نحوَ الأمامْ؟
وما يدفَعُ الخطْوَ فيَّ إلى اللانهايةْ؟
كلّما لاحَ عابرْ
صحتُ :يا صاحبي ، يا صديقي
كلّما أحدٌ جاءَ ، قالَ كلاماً
يُشبهُ الشعْرَ قلتُ لهُ :
-صاحِ ، فَلْنَبْرِمَنَّ عقودَ الصداقةْ!

لا تَمُتْ ، لا تَمُتْ يا صديقي
إنّني الآنَ أرجوكَ!

آه ، كنتَ عدوّاً لنَفْسكْ
أَتَذْكُرُ كَمْ رُحتَ تبحثُ عن سببٍ للخسارة؟
وكم كنتَ تبني وتهدمْ
وتتركُ في كلِّ آجرَة قطعةَ من كيانكْ؟
أتَذْكُرُ كم كنتَ تخلّطُ أوراقَ روحِكْ؟
تقطعُ الدربَ في الليلِ ، تطوي المَسافةْ
وتربحُها فرسخاً فرسخاً في الظلام
ثم تبحثُ في الصُبح عن وجهةٍ ثانيةْ؟
حيثُ كانَ يناديكَ سَيْرٌ جديدْ؟
أنتَ يا صاحبي لمْ تُراكِمْ ثماراً
لمْ تُحقّقْ نهارَ العبيدْ
ولم تلقَ إلاّ فراغكَ في كلِّ منعطفٍ فاغراً
مثلما الهاوية!
آهِ ، كم كنتَ أنتَ عدوّاً لنفسِكْ!

إخوَتي أمسِ أبصرتُهُمْ في فضاء الحُروبْ
يعبرونَ من الحلم نحوي
بملامحَ شائهَة ووجوهٍ غزاها الحريقْ
آه كمْ كانَ صعباً عليَّ
أنْ أُمَيِّزَ أوْجهَ مَنْ نَحتوا بِيَدَيْهِمْ
نهاراتِ روحي!
آه ، كم كان يصعُبُ ألاّ أرى
في تجاعيدِهِم والبكاءِ المُخيف

مكتبة الفكر الجديد

الذي يتصعَّدُ من كلِّ نَبْرَةْ
غُرْبَتي-وخَرابي!

هكذا
تتحوَّلُ حتّى اللُّغةْ
مَسرحاً للخَرابْ
هكذا
حينَ تكتبُ كفُّكَ :«هذا النَّشيد»
تقرأُ عيناكَ :«هذا النَّشيج»! . . .

تلمحُ الآنَ نفسَكَ في لعبةِ الأضويةْ
تلمحُ الآنَ نفسكَ في عُزلَةِ العابرينْ
ولكَ الآن يا صاحبي أنْ تُقَرِّرْ
أن نكونَ لهذا الضياعِ الجميلِ بأوديةِ النفسِ أو أن نَكونْ
لهذا الجنونِ ، الجنونِ الذي خَطَّهُ الآخرون .

كاظماً يا عزيزي!

مدريد ، ٢٧-٢٨/٧/١٩٨٦

في الظلام اليقينيّ

-إلى محمود درويش

تصعدُ الآنَ للقاعِ مُهتدياً بالجنونْ
ناسياً كلَّ ما كانَ ، مُخترقاً
دفعةً واحــدةْ
كلَّ ما سيَكونْ
مُنْكراً وجهكَ المستكينَ ومُجتَرِحاً
مَلْمحاً لكَ لم يعرفِ المقتَلةْ .
لن تعودَ الذي كنتَ قبلَ هنيهةْ
لن تعودَ عن النبع ، هذا الذي
يَتفجّرُ من كلِّ جارحةٍ فيكَ ، لا لن تعودْ
عن أرومتكَ المُثقَلةْ
ستظلّ هنالكَ مرتكزاً في أقاصيكْ
ناظراً للأسافلِ ، منْفجراً ضَحِكا :
-كيفَ لا يخجلُ الناسُ من
كلِّ هذي القتالاتِ من أجل لا شيء؟

سَتُقهقهُ ثمّ تقهقه ثمّ تقهقه .
طويلاً يكون لكَ الضحكُ المتداعـي
سبباً للنجاةْ
« - فجرُنا العذبُ هذا الصباحْ

مكتبة الفكر الجديد

لا صباحٌ سواهْ»
جاءَ من كَثْرِ تحديقنا بالظلامْ
ومن ألفِ موتٍ وألفِ ولادةْ
آهِ في كلِّ مرّةْ
كانَ يلزمُ تضميدُ عضوٍ ، فإمّا استوى
صاحَ عضوٌ سواه .

المدائنُ تحفرُ في القلبِ آثارَها
والعواصمُ تجتازها خاطفاً كالبروقْ
تركتْ فيكَ آياً من النار-
لن يستقيمْ
لكَ خطوٌ ، وهيهاتَ هيهاتَ تشفى
فَمَنْ صعَقتْهُ الصواعقُ ظلّ
إلى أبدِ الدهر يختضُّ ، والسّانحاتْ
تعودُ لهُ برؤى
ماكراتْ .

هوَ موتٌ وموتٌ وموتْ
وعوليسُ يخطيء إذْ يتصوّرُ أنّ الرجوعْ
خلاصُ المسافرْ .

للعَروض تنكّرتَ ، صيّرتَها كالكلامْ
والقوافي تطاردهنّ لتحذفَ ما يمنحُ الصرَخاتِ انتظاما

أنتَ فوضاكَ ، فوضاكَ أنتَ ، ولا شيء أكثرْ .

حيثُ أمعنتَ في النظَرِ انهارَ سورٌ
وتَكشّفَ ألفُ قناعْ
تحتَهُ ثَمَّ ألفُ قناعْ
حيثُ لوّحتَ للصمت جاءتْ حشود
لتعرضَ أشياءها الذابلَةْ
أو تسوقكَ نحوَ جنوناتها الخاوياتْ
وتماديتَ في الجَرْي حتّى لقد
تمازجَ عندكَ شرقٌ وغربْ
والبواصلُ صارَ لها الآنَ أنْ تتبعكْ
في اختلالكَ . لم يتعذّرْ عليك
أن تضلّ الطريقْ
لأنّ جميعَ المسالكْ
مُتَشابهةٌ ، ولأنّ الطريقْ
ليسَ تُفضي .

ألفصولُ تَبوّأتَها . والأعاصيرْ
صِرتَ بارئها . إنْ تشأْ أن تهبّ على القلبِ هوجاءُ صرصرْ
نفختَ فكانَ الدّوارْ
والذي غمسَ الخبزَ بالدمع ردحاً من الدهر وارتشفَ الهاويةْ
ليسَ يخشى من الجوع . مَن هامَ حتّى الشّبَعْ
لا يعودُ يُفرّقُ قرباً عن البُعدِ أو منتأى عن رجوعْ .

مكتبة الفكر الجديد

أنتَ جغرافيةْ
لا تضاريسَ فيها
أنتَ لا شيءَ : محضُ امتثال
لقرارِ امّحاءٍ يكون
لمنْ شَطَّ في البُعدِ وعدَ امتلاء .

العواميدُ في الدرب تذكرُ أنّكَ جئتَ
استندتَ إليها
تأمّلتَ صمتَ المسافاتِ ثمّ ابتعَدت
القطا في البَوادي
تعقّبنَ خطوكَ ، مثلكَ يبحثنَ عن زيجةِ اللاّزوَردْ
والطيورُ المقيمةُ تذكرُ أنّكَ رُحت
ترتّبُ أعشاشَها
والأفاعي تزاحمُها مسكناً في الجذورْ .

حيثُما ارتحتَ للتيهِ مُسْتَسْقِياً
مطرَ الوهمِ أوعشبةَ الآلهة
واحتلَبتَ الرؤى وافترشتَ الظنونْ
حيثُما سرتَ كالنائمينْ
واجداً في الطريقِ عزاءَ الطريق
وفي المشي تعليلةَ المشي ، كنتَ
صديقَ المتاهاتِ تحبلُ منكَ متاهاتُها بالنذورْ .
هاذياً كنتَ ، والهَذَيانْ

ملاذُ المُطاردِ . تجترحُ الضدَّ في الضدِّ ، تلقى قرينَ القرينْ
أنتَ شعبٌ إذَنْ
ناقصاً جالديه
أنتَ حقلٌ مُضافٌ لهُ
ألفُ لونْ .

في الطريقِ التى تتوحّدُ فيها
الطريقِ التي تتوحّدُ فيك
تجيشُ الخلائقْ
ووحدكَ تأنفُ من أن تُهيلَ على الوردِ ما يَجرحُ الوردْ .

خارجَ كلّ شقاء مزّورْ
وخارجَ كلّ زخارفَ للجرحِ تعرضُ كفّاً
عليها رضوضْ
وتقولُ : الذي عرفَ الجهدَ ليسَ ليعنى
بحجمِ النتائجْ .

مُهرولةً تُقبلُ الطارئاتْ
وتُلقي عليكْ
بأعباءِ ليلٍ طويلٍ سَيأتي
فتمضي (إلهي بأيّ فَرَحْ!)
تُعبّىء نفسَكْ
وبالرّملِ تحشو جراحكَ مُنْتَضياً

وريقاتِ قلبكْ
كمَنْ ينتضي ساعةَ العيدِ أبهى قميصْ .

الحروبُ التي تتهيّأ خلفَ الحروبْ
والنياشينُ يَعقبها عملُ الدمّ
والرؤوسُ المطوّحُ فيها
إلى لا-فضاء
والمقاصلُ مُرتَجلَةْ
حيثُما كانَ ثَمَّ رِقابْ
والغناء الذي يَتَعالى
من شقوق الفراغْ
لِيُداعبَ أشياءَ غافيةً في ضمير الجنودْ
تتركُ اليومَ مسرحَها وتجيء
لتعقدَ في قاعِ رأسكَ جولاتها
يتَعالى النفيرْ
والمزاميرُ تنفخُ تنفخُ تنفخْ
وها أنتَذا قائداً للمَهاوي السحيقة
حُطامَكَ ملتحماً بحطامَكْ
حطامكَ مرتطماً بالحطامْ .

يُقبلُ الأشقياءُ إليكْ
وما كنتَ قَطُّ نبيّاً
ولكنّما واحداً من سُعاة الدروبْ

مكتبة الفكر الجديد

ولأنّ الجميعْ
أبصروا فيكَ شفّافةً زهرةً للكآبة
فهمو أقبَلوا واحتموا بكَ ، ماذا
أقُلتَ : احتَموا؟ بلْ عليكَ ارتَموا . قلتَ يا فُقراءْ
جلَّ ما أبتَغي
أنْ تكونوا كما أنتمو في عراء دواخِلكمْ
لا زخارفَ لا أحجيةْ
ذلكَ أنّ المُشينَ ، أيا فُقَراءْ ،
هُوَ أنّ يتخفّى على صُدقِ ما فيهِ كائنْ .

في الظلامِ اليقينيِّ يندملُ الجُرحْ
في زَهَراتِ الكآبة تنتَعشُ الروحْ
في هجمةِ الرّيح ينبضُ في القلبِ مدُّ التَعاسةْ
في الظلامِ اليقينيّ تنبتُ للفقرِ أيدٍ كثيرةْ
وتخفقُ في العاصفةْ
شمعةٌ يهتدي نحوَها السائرونْ
في الظلامِ اليقينيّ ينمو الكلامْ .

ألعواصمُ تفرغُ من ساكنيها
إذا ما اقتَرَبتَ؟
أم انّكَ أعمى عن الكونِ صرْت؟
تُحدّقُ في ملأ فيكَ محتفلينْ
على قاعِ روحكَ يعلو رنينُ الصنوجْ

مكتبة الفكر الجديد

وتَلمّ القبائلُ أشياعَها
فَمتى يفرغُ الكونُ من صَخَبِهْ
فيكَ؟ ذلكَ أنّا
لا نرى لاحتفالاتِهِ من نهايةْ .

واحتفالٌ هُوَ
أم شعائرُ للدفنِ يكتشفُ الموتُ فيها
وجههُ البادِيءَ المستحيلْ؟

ألذي تاهَ في البرّ يسمع عندَ اختلاط الحواسّ
صَيحةَ الديكِ في الصّبحِ مِن حيثُ لا كانَ ديكٌ ولا من صباحْ
آنذاكْ
يستريحُ على دكّة من رمالْ
ويقولُ : النهايةُ أجمَلْ
عندَما تُبصرُ العينُ في الرملِ عاصمةً باهرةْ
ويعزفُ في الأُذُنِ الداخليّةْ
أُرغنٌ لا يُرى ،
ويَنامْ
ينامُ كمَنْ يُسدلونَ الستارةَ في آخرِ العرضِ ، أو مثلَ مَنْ
في ختامِ كتابٍ مُدَبَّجْ
يَخطُّ : انتهـى .

التباريكُ للبحرِ والذاكرة

تستعيدُ الفصولَ مشتّتةً فالبَداءُ انتهاء
التباريكُ للأمّ والأَخَواتْ
يَتعَطّرنَ بالشاهقِ الحزنِ منّي
ويُربّينَ أبناءهنّ
على شائعاتِ صعودي
إلى ذروةٍ كلّما صرتُ فيها
حرصتُ على رجعتي القهقرى
فليسَ ألذَّ لمن عقدَ الحزنُ في روحِهِ
حِلْفَهُ الّلا يُرَدّ
من نُعاس البُحيراتِ أسفلَ ، أسفلَ ، أسفل . . .

تلكَ أغنيةٌ أينَما رحتُ تمضي معي
إنْ أشأْ أصبحتْ محفلاً تستقيمُ التعاسةُ فيه
شعوباً جديدة
أو أشَأْ تتورّقْ برأى من السابلة
كَأكورديونْ .

لا نهايةَ للأغنيةْ
ولِذا ، ولأنّ الكتابةَ طقسُ انتحارْ
يتدرّجُ حتّى النهايةِ ملتحِماً
بانطلاق البداية ،
فَأنا أُوقفُ الآنَ هذا النزيفْ
صرخةً تتردّدُ في صمتِ هذا البياضْ

في انتظارِ سَواد جديدْ
يقولُ بياضَ الحكايةْ .

في ارتجافِ المساءْ
صيحةٌ للنَوارسِ تفرضُ هدنةَ هذا الغناءْ .

باريس ، ٢٤-١٩٩٠/١١/٢٥

مكتبة الفكر الجديد

سأُقيمُ في هذا الساحل
حتى أختلطَ بكلِّ ما فيه ،
وسَأمكثُ على هذه الأرض المُحمرّة
إلى أن يمتزجَ ترابُها بأعضائي .

سأقولُ : سلاماً لهذه التي ما فتئتْ تولَدُ فيَّ ،
أُغادرُها في هذا المَفْرق
لأَجدَها وهيَ تنتظرني عند آخرَ غيرِه
أودِّعُها في مدينة لأراها
تفتحُ لي المتاهَ في مدينةٍ أَبْعَد .

سأتخلّى عن بؤسيَ الذي كان يُصَوِّرني
إنساناً يَعقل
إنساناً يَفهم
ويتغذّى على كلِّ شيءٍ سوى النظر الرحْب
وسأتبعُ بعيداً ذلك التعطّشَ الى المسافات
الذي كان يستبدُّ بي بينَ أقرانيَ الوَديعين
أقرانيَ الوَديعين جدّاً .

سأقيمُ في هذا الساحل

مكتبة الفكر الجديد

وأتعلّمُ كيف يكبرُ الكائنُ في آلامه
ولا يعودُ صغيراً في حُزنِه
ألا لن أحاربَ نفسي بعدَ اليوم .

مدريد ، صيف ١٩٨٦

مكتبة الفكر الجديد

مصابك

-إلى إميل منعم

-١

ضائعاً بلا أناشيد
هائماً بلا موسيقى تمضي
حيثُما يتكوّر العالَم في أحلامِه
ولا يرافق السائرَ إلاّ ظلّه
في هذه الساعةِ حيث تفرغُ المدينة ،
تفرغُ المدينة من جميعِ الأصوات .

-٢

أولئك المُبحرون بنا عبرَ الماضي
والموصِدون دونَنا أبوابَ المستقبل
هذه الأوجه التي عرفَ فيها الطفل
عائلَتَه ، أسرته الملكيّة
كم تبدو مُمعنةً الآن في الهرب؟
كم تبدو مُمعنةً الآن في المشيخ؟
وكم يمضُّ أكثرَ من هذا كلّه
أنّها شاختْ ، أنّها شاختْ بمعزلٍ عنّا

مكتبة الفكر الجديد

حارمةً إيّانا من هذه النعمة الأخيرة :
أن نرافق موتَها وأن نجعل احتضارَها أكثرَ رقّة!

- ٣

في المساء الصامت تُهَيْمنُ عليك الذكرى
الذكرى المُشخّصة لصباح نيسانيّ
كانت الدنيا نواحاً والفيضّان على أَشدّه
النهرُ جاوزَ القرى البعيدة والسماء بلون الغِرْيَن
أمّك الفلاّحة تمسك بقبّعتك الريفية
فوق الماء
تسبح صوبَ الجُرف مفكّرةً هي الفقيرة
أنها أنقذت ابنَها من الغرَق
وبعيداً كان الصيّادون يجرّونك من النهر في نزعكِ الأخير
وهي ما تزال تُمسك بوهمِها والقبّعة .

-٤

أنْ نُسجّل ضياعَنا في صورة
أنْ نُطْبقَ على الآلام الهاربة في كلمات
أنْ نمنحَ للطائر قياس نغمته الحقّة
وأنْ نشاركَ السّمانى القلقةَ رعشتها البكْر في المسافات
أنْ نهتفَ مع ريلكه :«كلّ ملاكٍ مُرعب»

وأنْ نمزجَ رؤية مسائنا بصباحٍ مُتخيَّل
أن نتذوّقَ عطرَ هذه الأنسة
وعذوبةَ السكّر التي في قلب التفاح
أفلَيْسَ هذا حرياً بأن يُسجَّل
في صفحة من الكتاب الذهبيِّ المُسمّى قلباً؟
أَوَما مِن شأنِه أنْ يُحيلَ المَلَكَ خفيفاً كنَسْمة؟

-٥-

تَستعجلُ الكتابةَ وتحلمُ كلَّ ليلة بصنيعك . تستحثُّ ولادةَ الأثَر . تحسبُ أعوامكَ الماتزالُ فتيّةً ، وتتوهَّم نفسَكَ طريدَ الشيخوخة . أَما حريٌّ بكَ أنْ تهدّيء غزوَ الذكرى . أنْ تلطِّفَ هبوبَ الأحلام . أنْ تُمسكَ بذراع هذه المرأة . أن تتحسّسَ عذوبةَ هذه النغمة . أن ترافقَ بالمخيّلة هجرةَ ذلك الطائر الحَقيقيّ . وبعدَ هذا ، أن تذهبَ ، لو استطعتَ ، بخشوعِ المُتعبِّدِ ، إلى الكتاب؟

باريس ، أواخر ١٩٨٦

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

المجموعة الثانية

أغاني جنون الكائن وقصائد أخرى

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

صورةُ لأُمّي

في الدفتر الوحيد الذي أحملُهُ أينما رحتُ ، والذي لم أخطَّ فيه بعدُ أيّةَ كلمة ، لفرطِ ما بياضُهُ مقدّسٌ لديَّ ، ولفرطِ ما هي كبيرةٌ الكلمةُ التي إليها أطمحُ ، رسمتُ صورةً لأُمّي . بأيّةِ حال ، أقولُ ، حتى إذا لم تجيء الكلمةُ ، فَستظلُّ هذه الصورةُ في غنىً عن كلِّ تعليق .

مكتبة الفكر الجديد

الصرخة

وعولُ الغابات الصارخة ، ذعرها المنهمر على رؤوس الأشجار شهاباً يلمعُ في الأفق ثمّ يحتجب ، هو أيضاً ذُعري . وعذابُ الطائرِ المُحاصَرِ بينَ فكيّ أفعى تَتَعمّدُ التَّمَهُّلَ في ابتلاعه هُوَ كذلك عذابي . على صخرةِ الواقع الشرسةِ أنزلق ، ومنذ عقود جمّةٍ وأنا أتأمّلُ الهاويةَ ، راغباً حتى بالسقوط ، عالقاً بشيءٍ ما يُمسكُ بي من الذؤابةِ ، من الذؤابةِ يُمسكُ بي . والشريطُ الذي يمرّ في رؤوس الغرقى قبلَ الاختناقِ النهائيّ ، عارضاً عَلَيْهِمْ صُوَرَ العُمْرِ كلّه في ثوانٍ معدودةٍ ، أنا في كلّ دَقيقةٍ أُبصرُه .

مكتبة الفكر الجديد

للمارّين من أمثالي حول كُرَتكُم الأرضية أبجديّاتٌ لا يفهمُها غيرُ الطاعنينَ في الألم ، وحواسٌ تُدرِكُ خافيَ التعَبِ الذي يتأكّلُ مشاريعكُمْ من أسفلِها . رنينُ هذه الأبجَديّات الدائمُ وذبذبةُ الرحلةِ (في واحدٍ من أعشار الثانية نكونُ انتقَلْنا من أقصى الماضي إلى أقصى المستقبل) هو ما يشغلكم ويَمنحكم هذه الهيئة الشاردةَ : عندما نريد أنْ نُشارككم الضحكةَ يكونُ الأوانُ فاتَ دائماً ، أو نبكي معَكُمْ ، تكونُ ، منذ زمانٍ ، قد ارتسمتْ على ملامحِكم ابتسامةٌ عريضة .

مكتبة الفكر الجديد

نُحولُ

-إلى حسن الشامي

منذُ أيّام وأنا أشهدُ هذا التحوّلَ : فَمع أنّني لم أتلقَّ ، بعدُ ، الجناحينَ الموعوَدَين (من لدن أيّة آلهة؟ ولاختراق أيّة سماوات؟) ، فإنّني مصمِّمٌ على أنْ أرسُمَ في سمائيَ المُحتلكَة أجملَ طيران عرفهُ طائرٌ وحيدٌ إطلاقاً . وأنا الذي كنتُ أهربُ مِمّا تخطُّهُ يدايَ ، هروبَ السارق من مكان الجريمة ، ها أنا منذُ أيّام ، أعودُ إلى أوراقي المتربَةِ ، أتفحّصُ خطوطَها ، أعتبرُها ، وأجلوها .

مكتبة الفكر الجديد

اللوثة

يكفي في هذه البلاد أن تقول أنكَ مصابٌ بلوثة ، حتى يُصدّق الآخرون أنك مصابٌ بلوثة ، ويضعوا منذ هذه اللحظة كاملَ جهدهِمْ في إقناعك بأنّكَ مصابٌ بلوثة . يكفي أن تزعمَ أنّكَ كنتَ البارحةَ ضحيّةَ حالة صرَع مفاجيء ، حتّى يبدأوا بالدهشة من أنّكَ لم تَعُد تصابُ بالصَّرَع مَثلَما كنتَ تُصابُ به في ما مضى في أحيانٍ كثيرة . يكفي أن تشكو من تمنُّع الكلماتِ وصمودِها أمامَ الأفكارِ البسيطةِ التي تتَخبّطُ بينَ جدرانِ رأسكَ مطالبةً بحريّة الخارجِ الكبيرِ ، حتى يَستغربوا من أنّكَ صرتَ تنطّق بعبارتكَ فلا تَتَلَعْثَم . وكأنّ لا حريّةَ للوهمِ والاشاعةِ الذاتيّةَ في هذا العالَم . أو كأنّ أحداً لا يحقُّ له أن يقهرَ وَسواسَه .

مكتبة الفكر الجديد

شاءت الغُربةُ ، هذه البلاد الواقعة خارجَ كلّ بلاد ، أن أنسى ، في ما نسيتُ في مراحلِ تَعَبي الكثيرة ، أسماءَ الوردِ والزّهرِ ومراتبَ الحنانِ التي كنتُ من قبلُ أعرفُ أنها عديدةٌ ومتدرِّجة ، وفصائلَ الطيرِ ومقاماتِ الأشواق .

ولأنّني أبلغُ في اليومِ الواحدِ حالاتِ وَجْدٍ لا تُحْصى ، فأنا لا أجدُ للشيءِ تَسْمِيَتَهُ المناسَبَةَ ولا للإسمِ شَيْأَهُ المناسبَ أبداً . أُفكّرُ ببلادٍ بعيدة ، فأقولُ : يا للنسيان! أحلمُ بطفولةٍ مستعادة ، وأقولُ : يا توقيَ العظيمَ للمستقبل! ألمسُ أقحوانةً نازفةً ، فأصيحُ : يا فراشة! وألمحُ غماماً يركضُ ، فأهتفُ : يا حَيواناتي!

مكتبة الفكر الجديد

أُدباءُ البراعة الَّذينَ يُخْرِجونَ منْ رؤوسِهم موجات غامضةً موجَّهَةً لأَسْرِ عقولِ البُسَطاءِ من أبناء الناس . والحاكمون باسم رأيهم وحده فَكأنَّهم اللاَّمات الكبرى . والمُسْتَعْدون أحداً على أحد . ومردِّدو كلمات النفْي حيثُما يَتَعَيَّنُ قَوْلُ كلام الإثبات . والقائلونَ بالإثْباتِ حيثُما يَتَوَجَّبُ القَوْلُ بالنفي . وَمنْ يُبَعْثِرونَ دروبَ الكائن عن قصد . والباحثونَ عن مَكْمَنِ ضعف كائن وحيد ليُحَوِّلوهُ إلى نشاط مربح في أواليّاتهم الوجوديّة-النفعيّة . وفَنّانو الكَذِبِ ومثقّفو الإشاعَة . والجواسيس . وتُجّار الأسلحة . والقتلة . هؤلاءِ يستحقّون منَ الشُعراءِ الملعونينَ شتائمَ ولعناتٍ إلى أبَدِ الدهر .

مكتبة الفكر الجديد

الأب أنطونيو فلورَس

-إلى روح الأب أ . ف .

الأب أنطونيو فلورَس ، صديقنا في «الماريّة» ، كان يخرج للمغازلة كلَّ مساء . «للخالق أُغازلُ» ، طالما ردَّدَ الأب . وبالفعل ، فطالما عاد بجموع مُخَدَّرَة تطرحُ على المذبح بقايا ألَم شاسع لم تَجْلُهُ أكبرُ المستحضراتِ الأفيونيّة . «والآن ، ما نفعلُ يا أبتِ؟» ، تسألُ شابّة . «-لا شيء! عودوا إلى أنفُسِكُم ، واخرجوا وتنفَّسوا في أرض اللّه» .

في المساء التالي تكونُ رحلَةُ غَزَل جديدةً لهذا الأب الذي أبداً لم يُطالِبْ «مَجْذوبيه» باعتراف ، ولا بصلاة . والذي إذا تذكّرَ زائرُهُ شيئاً ، فضحكته المجلجلة التي ، بعدَما يُطلقها الأبُ ، فهوَ يظلُّ يتأمَّلُها كما لو كان هو نفسه مُحاوِرهُ ، وينظرُ إليها وهي تبتعِدُ وتشقُّ طريقَها إلى الكون .

مكتبة الفكر الجديد

إختارَ هذا الشاعرُ رِفْقَةَ الحَجَرِ ، إذ اشتَغَلَ بنّاءً ، أوّلاً . ورفقَةَ الماء إذْ عملَ في «ثلاّجــة» المَدينة . ورفقةَ الرمْلِ إذْ حاولَ عبورَ الصحراء وأرجَعَتهُ دوريّةٌ خافرَةٌ وهوَ على وشك أن يدخُلَ البلادَ الأُخرى . وأخيراً رفقةَ النارِ إذ اشتغلَ فرّاناً . وفي كلّ مرّة كانَ يُرجع الشعرَ إلى بُنوّته الحَقّة للعناصر ، ويُقيم ، رُبّما دون أن يعرفَ ، تقودُهُ حاسّةٌ عميقة وخيالٌ مُسَرْنِمٌ ، في صداقةِ هيراقليطس .

مكتبة الفكر الجديد

عدالة

ما أكثرَ ما جرَّبتُ أن أُجبرَ الأُغنيةَ على أن تُقدِّمَ ثناءً لذلكَ الماضي الذي كان كلُّ شيءٍ فيه ، وكلُّ أحدٍ ، يتبارى لِمُفاقَمَةِ عَثَراتي ولِيَبصُقَ في صحنِ أُغنيَتي؟ في كلِّ مكانٍ ، كنتُ الزائدَ عن العدد ، وأمامَ كلِّ سلالة ، كنتُ أنا الطريدَ المُمْسكَ بدَمْعَته بينَ كفَّيْه . وكَم بدا من الصعْبِ أن أغفرَ : كلاّ ، كلاّ ، لنْ أغفِرَ ، سَيُسَمّى كلُّ شيءٍ باسمِه ، وستكونُ في ذلك عدالة .

مكتبة الفكر الجديد

غُرَباء

-إلى فاروق مردم بگ

غُرباءُ عن الكأسِ والتّويج ، عن الحديقةِ والوردة
غُرباءُ عن الطيرِ وهيْنَمَته
غُرباءُ عن سَجْعَ كلّ ما هو مرثيّ
غُرباءُ عن الطاولَة والجرّة ، عن الباحةِ والشُرفة
غُرباءُ عن بشيرِ الولادات
غيرَ أنّ صوْتَ الناعي منكُم
عندما يُقْبِلُ ذات مساء مُمْطر
فهوَ يُدرِكُنا في الصّميمِ حتّى قبلَ أن يتعالى
ويشقّ بضوضائه عباءةَ اللّيل .

مكتبة الفكر الجديد

الطلقة

حمامةٌ نائحةٌ هي الروح
طَلْقَةٌ مُبْهَمَةٌ في فضاء الصامت
تُسافِرُ وترجعُ بلا دويّ .

حمامةٌ نائحةٌ هي الروح .

مكتبة الفكر الجديد

بحثاً عن إجابةٍ ممكنة

كنتُ أركُضُ وفي أثري كلابٌ بوليسية . رهطٌ كاملٌ كلّما تقدّمْتُ خطوةً ، تقدّمَ في اتجاهي عشراً . هكذا بحيثُ راحت المسافةُ تتقلّصُ بينَنا أوّلاً ، وبيني وبينَ فُرْصَة النجاة من ثَمّ . والمُفْزِعُ أنّني كنتُ أَمْتَحِنُ فكري مهيّئاً الاجابةَ المُناسبَةَ في حالةِ لا يعودُ بيني وبينَها من مسافة .

مكتبة الفكر الجديد

اللّيلُ للكائنِ المُفَتَّتِ لا يُشْبِهُ لميلَ العالم . ولا نهارُهُ نهارَ الدُّنيا . يستيقظُ وإذا بدم فاسد في عروقه يجري (آه ، هذه اللَّسْعَةُ إلى أين؟) . ويَنامُ فتبدأُ جميعُ شعابِ روحه تَرِنُّ بما يُشْبِهُ رحيلَ قبائلَ مُقتلعة ، وَبَدو هائمينَ على أَوْجُهِهِمْ في صحارى بلا حدٍّ ، وأنينَ حبالى تُبْطيءُ في الوَضْعِ ، ووُجومَ طوابيرَ بكامِلِها تُعْدَم .

مكتبة الفكر الجديد

أنتُنَّ يا مَنْ تَقْذِفْنَ من أحشائكنَّ الحارَّة الى تيّارات العالم بأجنَّة لا تُحْسنُ المَشْيَ ، وأمامَ أدنى عبارة استنكاريَّة تقفُ حائرةً تَتَلَعْثَمُ ، لو تَأَنَّيْتُنَّ قليلاً في الولادة ، ولو استَبْقَيْتُنَّ هذه الأجنَّةَ فيكنَّ زمناً أطولَ حتّى يعودَ ضغطُ العالمِ أخفَّ عليها ، أو حتّى تُصبحَ أكثرَ مهارةً في شقِّ دُخانِ الأكوان!

مكتبة الفكر الجديد

رفاقي الذين مَنعوني في الصِّغَرِ من السباحة في ماءِ الفراتِ ، مستغلّينَ ، لا ريبَ ، هذه الفرصةَ السانحةَ لجميعِ أنواعِ الاستبعادِ ، وهي أنني كائنٌ وحيد ، والذين قالوا إنّ الشاطيءَ كَان مفتوحاً للجميعِ إلاّ لي ، أكانوا يدركونَ أنّهم حكموا عليَّ ، مرّةً وإلى الأبد ، بالتطلّعَ إلى كلِّ شيءٍ من على مَبعدة ، وبالوقوفِ هكذا وأنا أتحرّقُ (آه عبثاً ، آه عبثاً!) لمعرفةِ قلبِ كلِّ شيءٍ ولُبِّه؟

مكتبة الفكر الجديد

عِبارة

مرَّةً اعتَرَضَتْ طريقي جُمْلة . ليالي عديدة وأنا أصارعُ المبتدأَ فيها والخَبَر ، باحثاً عن تناسقِهما المُمكنِ ، ناشداً للعبارةِ نصيباً من الهارمونية . تتداعى العبارةُ ، فأتداعى معَها ، وأشرَعُ بالعملِ من جديد ، لأنَّ سلامتي بها مَرهونة . لا الجارُّ ولا المجرورُ ، لا الناصبُ ولا علامتُه ، أبدوا لي أيَّةَ رأفة ، ناهيكَ عن أيَّةِ رغْبَة بالتعاون . أدركتُ في تلكَ اللحظةِ حقيقةَ جنونيَ الصارخةَ ، ومنذُ ذلكَ الوقتِ وأنا أُمسِكُهُ وأُحَدِّقُ بهَ ، يهدأُ فأهدأُ ، ويَتَوَتَّرُ . . . فأتَوَتَّر .

مكتبة الفكر الجديد

كنتُ أبدأُ من الألف وأنتقلُ الى الثّاء ، قافزاً الباءَ والتّاءَ ، آملاً التَمَكُّنَ من الرجوع إليهما في شوط آخر . عندما أعودُ تكونُ الطرقُ قد تشابَكَتْ ، وامَّحَتْ جميعُ المعالِم . آه يا وضوحاً مُفْتَقَداً ، آه يا بدايةً منسيّة! في انتظاركُما يتمَزَّقُ صراخُ الكائن ، ولا من آلهة تَسمَع . وإذا ما حدثَ وطرقتُ أقربَ بابٍ مُمكنٍ ، فَمَنْ ضامِنٌ أنْ سَيكونُ وراءَهُ مَنْ يَفْتَح؟

مكتبة الفكر الجديد

يقظة

كنتُ في غابةٍ من صُنْع خيالاتي أركضُ بينَ نباتاتٍ وهميّة جارحاً قدميَّ بملامسة أشواكٍ كثّة . أو أتقدّمُ في أبهاءٍ مُتَصَوَّرَةٍ وأصطدمُ بزجاجٍ يزدادُ صَفاقةً كلّما تقَدَّمَتْ خَطواتي . كنتُ في الحُلُمِ أعرفُ أنه الحُلُمُ . ومع أنّني كنتُ أنزفُ من مساماتِ جسدي كلّه ، شاعراً في مواضعَ عديدة منه بألَم لم يكنْ قطّ بالتجريديّ ، فأنا كنتُ أتطامَنُ وأقولُ إنّ لحظةَ الاستيقاظِ لا محالَةَ قريبة . ومَعَ ذلكَ ، فها أنا ، حتى خارجَ الحُلُم ، أُجَرجِرُ بقايا ألَميَ الذي كنتُ أَخالُهُ مُتَوَهَّماً ، ورضوضَ عَثراتيَ الكثيرةِ في غاباتٍ كنتُ أحسَبُها من بناتِ أحلامي .

مكتبة الفكر الجديد

عندما تجلسُ في الغُرَف ، باحثاً عن مُحاور لَكَ في الجدار المُقابِلِ ، أو خليلة في باقة الزهرِ الذابلةِ ، أو مُستَمعٍ لنِدَاءاتِكَ المُتَكَرِّرَةَ في الهاتفِ الذي قُطِعَ منذُ أعوام

عندما تجلسُ في الغُرَف وتزدوجُ ، تصيرُ رجالاً كثيرين ، وتُصالحُ في داخلِكَ الشيخَ والطفلَ ، المُسافرَ والصحراءَ ، الغريقَ واليدَ السماويةَ التي تنتشِلُهُ على غيرما توقُّع من أيدي الأمواج

عندما تتذكَّرُ فعلَ التَذَكُّر ، وتتذكَّر أنَّكَ كائنٌ فَحَسْبُ يتذكَّر

عندما تجلسُ وتُفكِّرُ في كيفيَّة الجلوسِ ، لأنَّكَ ما إنْ تجلسُ حتى تطلَعَ يدٌ خفيَّةٌ وتطردَكَ مِمَّا حَسَبْتَه ، أخيراً ، مكانَكَ

عندما تتواصلُ الغُرَفُ بلُغة يعرفُها الجمادُ وحدَهُ ، وتتنادى وتقولُ إحداها للأُخْرَيات :«إنْتَبِهْنَ ، هُوَ كائنٌ ناضجٌ لدُعابَتِنا»

عندما يتآمرُ حتّى الحائطُ ، فكأنَّ فيه آذاناً تُنْصِتُ وتُعَلِّقُ ساخرةً من نواحِكَ الداخليِّ (أنتَ نفسكَ لا تسمَعُهُ ، ولا تَعْرِفُهُ إلاّ من هذه الغصَّةِ الدائمةِ في الرّوح)

عندما تتشاورُ الدقائقُ من حولِكَ لِتُقَرِّرَ اللحظَةَ المُناسبَةَ للاجهازِ عَلَيْك

لا الاجهاز عليكَ تماماً ، وإنَّما ، وكما يعرفُ وحدَهُمْ الجلاّدونَ المَهَرَةُ ، إلى الحدِّ الذي يُمْكِنُ استعادَتَكَ منهُ وأنتَ على قابِ قوسين أو أدنى من الموت ، حتى يُمْكِنَ التنكيلُ بكَ أكثرَ وأكثر

عندما يَتَفَتَّتُ بينَ يدَيْكَ حتى الزمنُ الذي كنتَ تتوهَّمُ فيه رفيقاً للمهزومينَ («ننتظرُ مرورَ العاصفةِ ، لنبدأ من جديدٍ بأكثَرَ

مكتبة الفكر الجديد

شجاعةً وأقلَّ يأساً . . .»)

عندما تتيقَّنُ من أنَّكَ صرتَ على مسافةٍ من الأحياءِ ، وأنَّكَ لستَ بعدُ عشيرَ الموتى

عندَما . . .

مكتبة الفكر الجديد

سرّ الموسيقى

-إلى عبّاس بيضون

كنتُ ، في رحلةٍ إلى بلجيكا ، أتأمّلُ في متحف سرَّ لوحةٍ لِرامبْرانْدْت . كان معي جاريَ الياباني في الفندق الذي حَلَلتُ فيه (جاريَ الذي ، عندما سأُغادرُ ، سَيهديني قطعةَ نقد صغيرةً من عُمْلَة بلاده ، في مظروف مُنَمْنَم خيطَ من حواشيه قال إنَّ خطيبته نفسها خاطَتهُ للهدايا التي يُقدِّمُها خارجَ الوطن . . .) . كنتُ أتأمّلُ اللوحةَ ، وكانَ أَحَدُ شخوصِها مُفْترَّ الفم عن ابتسامة . كانَ كَمَنْ يصفر بِلَحْن . وفي القاعة الباردة ، الخاليَة إلاّ منّا نحنُ الإثنين ، تصاعدتْ الموسيقى ، سرِيّةً ، غامضةً ، تُلخّص سِرَّ الأُلفة . وإلى الآن لا أعلمُ إنْ كانَ اللحنُ تصاعدَ بمعجزةٍ من ثنايا اللوحةِ ، أو كانَ يصفرُهُ ، قابعاً ورائي ، صديقيَ الياباني .

مكتبة الفكر الجديد

ألمٌ قديم

هذه الذكرى من غرناطة . كنتُ أحضنُ ببَصريَ المشهدَ كلَّه ، النوافذَ المذهَّبَةَ الأُطُرِ والعواميدَ البلوريّةَ ، والمنحوتاتِ البارزةَ وأُصُصَ الزهرِ ونوافيرَ الماءِ شِبْهِ غيرِ المرئيَّة ، والحدائقَ في الأسفلِ وعلى السطائح . . . عندَما طلعَ فجأةً ، في قلبِ هذا كلِّه ، صديقيَ القديمُ ، المُتَسكِّعُ ، الخارجُ منذُ قرونٍ في نُزْهَةٍ ، والذي سُمِّيَ ، عَرَضاً ، دون كيخوتة .

مكتبة الفكر الجديد

ريفيّة

الأُمُّ تُلَوِّحُ من آخرِ المسافة ، حاملةً من الحقلِ الناشف ، زادَ اليوم . بيننا فرسخٌ أو يزيد ، وزُمرةُ ذئاب شاءَ سوءُ الطالع أنْ تبرزَ لنا في تلكَ اللحظة ، نحنُ أضعف مخلوقينِ في الكونِ الواسع . كان عليَّ أن أُناضلَ ضدَّ خوف الطفولَة ، وهيَ ضدٌّ ثلاثة : خوف الأنثى ، وثِقَل الحِمْل ، والأرضِ الزلِقَة تحتَها في اليوم الماطر . فتقدَّمتُ خُطوةً وأنا أصرُخُ أنْ تفرّقي يا ذئابُ وليَمُرَّ ركبُ الإنسان . وإذا بالصاعقة تَتَفجَّرُ على حين غرّة ، ويتراكضُ في السماءِ واضحُ البرق ، وتتفرَّقُ الزُمرةُ عن آخرها . فمضيتُ أعدو نحوَ الوالدةِ وأنا أستوضِحُ طريقي بلمعانِ أسنانِها المؤتلقةِ فرَحاً أخيراً .

مكتبة الفكر الجديد

تكريم الكيان أياً كان عدمُه
(سيرة شعرية)

١- ديباجة

تلكَ الأمسية في راوَنْدة
عندما قال لكَ طيفُ ريلكه
-كُنْ صادقاً حتى في خَطئك
ولا تقرأْ ما يُكتَبُ فيك أبداً
سيأتي يومٌ فيهِ تعرِف
حسابَ قوّتك وضعفك
ولن تحتاجَ نصيحةَ إنسانٍ أو إله
وفي تلكَ الساعة المُبارَكة
التي ربّما لن تدركَها
إلاّ بفؤاد مقصوف وهامة مُشجَّجَة
ستكون أصبحتَ الكائنَ وأحطْتَ بكلّ شيء
وصرتَ للموتِ أصلَح .

مكتبة الفكر الجديد

٢-العائـد

هكذا سوفَ تَتبَعُ حُمّى أَعْضائِك
ناسياً ما يُفكّر به هذا أو ذاك
سَتَروحُ الى الهدَف مُسْرِعاً أمْ مُتعكِّزاً لا يهمّ
سَتَفْتَحُ للقلبِ وردَتَهُ في الرياح
وللرياح وردتَها في الدم
ستكونُ الواحدَ في الجماعة
وتكونُ الجماعَةَ في الواحد .
ستكتبُ قصائدَ في الليلِ وتَمْحوها في الصُّبح
ستكونُ قارىءَ أعمالك
وَستعزفُ طويلاً للجوقة
الناهضة في داخِلكَ ، طويلاً سَتَعْزف
للمُتَسَكِّع
العائد آخرَ الليلِ إلى دارِ الرّوح
يُمْعِنُ في الطُّرُقِ قبل أنْ تَنْفَتِحَ الباب
ويُسْأَلَ بارتياب عن هُويَّته .
ستَرى في دواخِلِكَ أماسي مُرتَجَلَة
تسأَلُ عنِ الضيوفِ فلا تَعْرِفُهم
وتتهجّى وجوهَ السّادة
فلا تكادُ تُمَيِّزُ أحداً
في الساعة العجيبة تشمُلُ الغُرْبَةُ كلَّ شيء
ولا يعودُ المَرءُ معروفاً إلاّ مِنْ لَدُنِ قلْبِه .

٣-رغبة الغناء

آه ، أنْ تُطْعمَ اللُّغَةَ مثْلَ هذه النّيوءَة :
كَلَّ نهار كَانَ يعصفُ في أوردتِك
كبريتُ العالَم
فَتَروحُ باحثاً عن النداوة
بينَ نباتِ الخَلَنج والآس
وعندما لا تَجدُ النباتَ المُحْيي
فأنتَ تَتَحَصَّنُ بأسمالك
تكتبُ رسائلَ وتنْساها في المكان
تَحفَظُ لغات وتَتركها
في الداخلِ تُتَعارف
من زمان وأنتَ تُفكّرُ بنشيدٍ
يَهَبُ الكائنَ معرفةَ ألَمه
وطريقَ غِبطته الأزليّة .

ستقولُ مِمَّ مَصْنوعٌ إنسانُ عَصْرِك
سَتَقولُ مِمَّ مصنوعٌ قلبُ الانسان
وبعدَما يتمّ ذلكَ سَتَروح
تُطلقُ حولَ مَوْتِكَ إشاعات
وتُكَذّبها
دالقاً لسانَكَ بينَ الأشنات

المائيّة
مُتَزَوِّجاً في الفراغِ جرادةً أو بُحيرة .

مكتبة
الفكر
الجديد

٤-أكثر من مسيح مؤنّث على المياه

هوَذا الآنَ مشهدكَ البدئيّ :
يجمد الفرات في الشتاء فتندفع الفلاّحات
لاستقبال حمولة السفُن
يمشينَ بينَ السفينَ والجُرْف
أكثرَ من مسيح مؤنّث سائر على المياه
وإذْ يتكسّر الجليدُ تحتَ أقدامهنّ
ترى أكثرَ من زهرةٍ أرجوانيّةٍ وهي ترتسمُ على الماء .

من أزهارِ الدّمِ هذه تحتَ قَدَمَي أُمّك
بدأَ العالَم
وفي فَيَضانِ أكوانٍ وشُعوب
(هذه الجموعُ يَجْلدُ بعضُها البَعْض
عن مسافة أو كَثَب ، كلّ ليلة)
تَحَدَّرَ شَبابُكَ خَسارَةَ شُطآن .

٥-الفرات نازف

الفُراتُ نازفٌ بدماءِ النّسوة
يُذْبَحْنَ لِزَلّةِ عِشْق
الفُراتُ نازفٌ بدماءِ كواسِجِه المُنْتَحِرَة
الفُراتُ نازِفٌ بِدماءِ الغَرْقى بِغَشامَة
الفُراتُ نازِفٌ بِدماءِ الغرقى عنْوَة
الفُراتُ نازِفٌ بِدَمِه
الفُراتُ نازِفٌ بِدَمي .

مكتبة الفكر الجديد

٦-غرِ اللغة

ستُوقِّعُ اللغةُ بنبض الكائن
ويكون للكائن هيامُ الكلمات .

لن يكونَ العالَم استعارةً عن الحقل
لا ولا الكُلُّ مجازاً
بالغَ السذاجةِ عن الكتابة
بل إنَّ تواصلاتٍ غيرَ مرئيَّة سَتَنْعَقِد
وسَيُسْلِمُ الكُلُّ مفتاحَ تناهيهِ
لِلْكُلّ .

سَيمدّ الوردُ للكائن أسرارَ
عجيبته اليوميّة
يحدّثهُ عن الازهرار ويقولُ لَه :
-هوَذا تتطلّع إليَّ فتلقى نفسَك .

ولعلّ بعضهم سَيَتساءل :
-كم هيَ أليفةٌ هذه المقاطع
يُزْجيها كصلاةٍ لِلا إله
من أوّلِ هزيعٍ من الصبح إلى آخِرِ هزيعٍ من الليل
كائنٌ لا نكادُ نعرف وجهَه!

مكتبة الفكر الجديد

٧- هجرات

هجرةُ الكائنِ المُحاصَرِ في الليل
في زُحام أبراجٍ جميعُها عُدوّة .
تُسَلَّطُ عليه شلّالاتٌ من الضوء
فيلتصق بالأَرضِ ، وإذْ تَضيق
الأرضُ دونَه
يَحْلُمُ بحالة منَ الشّفافيّة .
يَحْلُمُ لو امتَزَجَ بالهواء ولو صارَ
هوَ الهواء ، والمُعْجِزَةُ تَتَحَقّق
أحياناً
إذْ يُصْبِحُ هوَ الهواء ويَغيب
عنِ النَّظَرِ كالخِضْر .

كذلكَ هيَ
هجرةُ الفلسطينيِّ حولَ العالَم
ونحوَ جوهر الحياة المخبوء .

مكتبة الفكر الجديد

٨-إيروتيكا

عِنْدَما تتخفّفُ عاشقتي في الأَرْياف
من الحمولة الساخنة لسريرتها
مُقَرْفصةً في العُتْمة مُباعدةً ساقَيْها
واطئةً بِقَدَميها عُشبَ العالَم
تاركَةً لِعُضْوها الجِنْسيّ الباذخ الزُّغَب أن يَتَنَفّس
كاشفةً عَنْ مؤخَّرَتها لِشَعْبِ الأشجار
مُطْلَقَةً ريحَها الهامسة
كَبوق آلهات الماضي
ذوات اللُّغَة المَرْموزَة
جاذِبَةً مواكِبَ أشباح وَطيوف
مُناديةً الأرواحَ الهائمةَ ونُفوسَ الغَرقى
لِتَنْعَمَ بِمَشْهَد انفتاح دواخلها الأزَليّ
عِنْدَما تروحُ وَتَسْقي الحَقْل
مِنَ مائها الصميم مُطلقةً موسيقاها
وَشْوَشَةً خفيفةً متصاعدة
كآهات سوبرانو عَذْبَة
عِنْدَما تُفْرِغُ جيوبها السريّةَ في الأرياف
في عُطَلِ الصَّيْف في أصياف الروح
عندَما تَنْداحُ عشيقتي في الطبيعة . . .

مكتبة الفكر الجديد

يتقاسَمُ الآخرونَ كَعْكَةَ مَجْدهم الكَرتونيّ
وأنا ههنا حاضناً نَبْتَتَين
أتساءلُ عنْ سرِّ الخُضْرَة !
طارداً فكْرَةَ الانْقذاف إلى إسْفَلْتِ الشارع
جُثَّةً مُهَشَّمَةً ، مُكَفِّراً
دفْعَةً واحدةً عنْ خطاياي
مُبرقاً لأُمّي :كوني بسلام ،
مُنْدَهشاً :كم الكونُ واسعٌ أخيراً
في غُرفة!
جاعلاً منَ العالَم أوسَعَ بستان
يُمْكنُ أنْ يَنْعَمَ بهِ إنْسانٌ مُتَوَحِّد ،
نازفاً في الداخلِ لحروبٍ تَتَهيَّأ
باكياً لضحايا لا أَعْرِفُها
صارِخاً صارِخاً صارِخاً صا . . .

مكتبة الفكر الجديد

١٠ - نُزهة

ستَعودُ إلى دارِكَ مَعَ الفَجْر
حاملاً أسلابَ معاركَكَ اللَّيْليّة
سَتَكونُ حاوَرْتَ جَميعَ الأحجار
وَتَخاطَبْتَ والشَّجَر
ستكونُ ملأتَ الطُّرُقَ بِصُراخٍ وحشيّ
لمْ تَسْمَع المدنُ مثلَه
سَتَفْتَرِضُ لِلْمُدُنِ بلاغَةً خفيّة
وتهبُ للبحثِ عَنْها
ستكونُ البَجعَ البودليريّ
وستدمي على الثّلْج قوادمُكَ ومنْقارُك
ستُحاولُ الطُّيَرانَ رافضاً السّقْطة
صانعاً ، لو احتَجْتَ ، مِنْ ضلوعِكَ رايات .

مكتبة الفكر الجديد

١١-المَنْفيّون

يطلعونَ مِنْ كلِّ مسامات الهِجْرة
حاملينَ في متاعِهِم اللاّشيءُ
أو هُمُ اللاّشيءُ نفسهُ يَحلم
بامتلائهِ المَوْعودِ مِنْ أيّةِ صدْفَة؟

في القطاراتِ الجوفيّة يتكدّسون
أو السُّفُنِ زَهيدَةِ التَّذْكَرة
يُسوِّرونَ العالَمَ بعُبورِهم المُتَواصِل
دائرينَ حَوْلَ نقْطةٍ بذاتِها ألفَ دورة .

يتعوّدهم مقهى مُكْتَشَفٌ حديثاً
حتّى تَضجر
من إقامَتِهِم المُتواصِلَةِ عروقُ الأرائك .

يَطرُدُهُم نادلٌ للا سَبَب
أو يَكْنسُهُم الحارسُ في الصّبْح
أحياناً تُبْصِرُ الواحدَ منهُم
بينَ ملائكةٍ مُتَجَلّين
عازفاً في أوركسترا ، مُغنيّاً
في فريقِ جوّال

مكتبة الفكر الجديد

شاعراً في ديوانٍ ، مؤلّفاً
في مَوسوعَة
فيَجذبَ إليه كما يَجذب
الجَدَثُ الدّودَ الجائع
حقدَ مُهاجري مجاله الأصليّ كلّه
خائنٌ ، يَقولونَ ، وهوَ حقّاً خائن
أفَما كانَ يَنبَغي أن يظلّ أبداً
في مَعزل السُّكوت والفَشَلِ الطازَج
المُتَجَدِّدَةِ لَسْعَتُه كلَّ لحظة؟

من أفواههم تَتَطايرُ إشاعات
يَتَحَلَّقُ حَوْلَها مَصيرُهُم المُتَشاكِل ،
والحنانُ الذي يَمحضهُ الواحدُ لِسواهُ
لا يَنْطقُ بهِ إلاّ لِنَفْسِهِ في السِّر .

مَسارِحُ مُكتَظَّةٌ لِحروب كَوْنيّة
قابيلٌ وهابيلُ في الكائنِ ذاته
والقلبُ منشطراً كجَبهَةِ «جانوس» .

عن النّبْع الأوّل مَنْ أبعَدَهُم؟
مَنْ لا يُبصرُهُم يَتعَثّرون في أدنى حَرَكة؟
خارجَ أنفُسِهم مَنْ يَقذِفُ بِهم كلَّ مرّة؟

مكتبة الفكر الجديد

١٢-سِباحة

كُنْتُ أَشُقُّ صاعداً التَّيّارَ النازل
ناشداً الذُّرى خابطاً بساعدُيَّ ضدَّه
رُبَّما كانتْ زهرةً فريدةً أو معنى غائب ،
يَنتَظِرانَني في ما أَدْعوه
في سذاجتي أنا بالذُّروة .

رحْتُ أَتقَدَّمُ في الماءِ وسطَ الصخرِ الناتيء
نازفاً من المُخَيِّلَة صوراً شتّى
عائشاً من جديدٍ تَعَبَ كلِّ سبّاح
مُبْصراً عناءَ شعوبٍ ما قبلِ تاريخيّة
سائلاً القاعَ عن سرِّ القاع
طالعاً بخَياشيمي إلى سطحِ العالَم
واجداً لنَفسيَ مكانَها في الخِضَمّ
راجياً الفَوضى الفوضى الكبيرة
مُطْلقاً مِنْ دواخلي كريستالاً ذهنيّاً
مُقَرِّراً : الموتُ والحياةُ مترادفان
لِمعنى واحد
صارخاً فَمُقَلِّداً صُراخيَ فَـ
مُقَلِّداً التقليد
ضاحكاً مِنْ فَلسَفَتي ضاحكاً بِلا

مكتبة الفكر الجديد

فلسَفَة

باكياً لِذكَر تأتي فجأة
ولإحْسَاسَات لا عهدَ بها لي مِنْ قَبْل
شارِباً الماءَ على سعة رئتيّ
باصَقاً خراطيمَ ماء مُسْتَدْخَل
-آه يا لَلجَمال لو تَوَقَّفَ القَلْبُ فجأة!

في الذُّروَةِ لَمْ تَكُنِ الذُّرْوَة
ولم تَكُنْ زهرَةٌ ، ولَم يَكُنْ أيُّ شيء
بل وحدَهُ التَّعَبُ المؤَقَّتُ للسبّاح
حاضناً فَوْقَ الصَّخْرَةِ قواقعَ عَجيبة .

مكتبة الفكر الجديد

١٣-فيروعة

إبتلاعُ عظايا حيّة
شُرْبُ جُرعاتٍ مُخفّفة
من سمٍّ قاتل
تدريبُ الجسدِ على امّحائه
إجهادُ القلبِ حتّى يلهث
مُمارسةُ الحبِّ حتّى الغَيْبوبة
كتابَةُ القصيدَةِ غيرِ المُنتَهِيَة
إطلاقُ الجَعيرِ الحيوانيّ
المكبوتِ في جَوْفِ الكائن
إيثارُ النَيِّءِ والطازَجِ والفَجّ
كُرْهُ كلِّ ما تُشَوِّهُهُ النّار
إستعادةُ الحكاية من أوّلِها
إستئنافُ الاستئناف إفهامُ الكُلّ
أنْ لا مَغزى للقولِ أنّ لا خاتمةَ للقصيدة
القَوْلُ بانتصارِ كلِّ يأس
وكلِّ أمَل
التّصريحُ بالوجودِ وعَدَمِه
تأكيدُ أساسيّةِ ما يُعاش .

مكتبة الفكر الجديد

١٤ - موقف العيش في النفق الأسود

عنْدَما يُدفَعُ بك في النَّفَقِ الأَسوَد
فإنّ ذلكَ يحدثُ دائماً على حين غرّة .
يجيءُ صَلَفٌ في العالَم
فيُخَمِّنُ تَعَبَكَ وَيَجِد
فيكَ ضالَّتَهُ ، ويروح
يمتَصّ جهودَكَ بحنكة
قبلَ أن يَدْفَعَ بكَ بيَد خبيرة
في المتاه حيث ستظلُّ تَبحَث
عنِ المَخْرَجِ طويلاً طويلاً .

سنوات وأنتَ تدور وسطَ حميَّة أعضائك
باحثاً في المدى عن بقيَّة إنسانيَّة ،
سابراً الأُفُقَ ، مصطدماً كلَّ مرّة
بأبواب لا تُرى ، تُعارِك أقواماً
لا تُبْصِرُهُم .
تَصرخُ فَيُقَهقهون
وَتُصَدِّقُ ما يُلْصِقونَ بكَ مِنْ شوائب
وهُنا أخطرُ الشوطِ قَطْعاً .

الأغطيَةُ مُلَطَّخَةٌ بِدماء الرّوح ،
الجَسَدُ صامدٌ ، الخَرابُ في الداخلِ يعمل .

مكتبة الفكر الجديد

ذاتَ يوم يَتَعذَّرُ عليكَ حتّى أن تسير ،
نسيتَ لُغَتَكَ ، ما عادتْ لكَ فطنةُ «روبنْسنَ» في الجزيرة .
لا «جُمْعَةَ» لِيَشُدَّ أزرَك ،
ولا آكلة لُحوم بشريَّة
لِتُحاربَهم .
الجميعُ آكِلو دُخَيْلاءِ الكائن .

وتَروحُ تستَعيدُ طفولاتكَ ، تتهَجّى
كَيْنونَةَ الذات ذاتَ الكَيْنونة .
تَجهَلُ العُشبَ لا تَعرفُ ما الخُضرة ،
تكرَهُ الضَّوءَ لا تعبأُ بالنَّهار ، تُنْفِق
القَلبَ في مشاغِلَ ليسَ تُجدي
سائلاً الجدوى في ما يُتْعب
ناشداً بعضَ راحةٍ في الغَفْليّة .

وحين تَقوى وتعودُ إلى الحياة
بَعدَ سنينَ من الدوران في النَّفَقِ الأسوَد
فأنتَ ما عُدْتَ نفسَكَ ، والصّغير
الذي يتوهّمُ أنّكَ كُنْتَه
أو أنّهُ كانكَ ذاتَ مرّة
لمْ يَعُدْ سوى ضيفِكَ في منزِلكَ المُتَنَقِّل .

منذ ذلكَ الحينِ ، لن يعودَ

لأيِّ شيءٍ الطعمُ ذاتُه
وذلكَ الذي طالما وقفَ
في مُفْتَرَقِ الرِّياحِ الجوفيّة
لأنفاقِ العَالَم
طويلاً سَيظلُّ يَتحسَّس
منخَرَيْهِ حيثُ كانَ يتدافَع
كالدُّخان
ذُعْرُ الدّابّةِ المُحاصَرَة .

لن يعودَ للهواءِ لديه مَلْمَسُه نفسُه
وهوَ لن يعرِفَ الشّفاءَ والسّلوَّ أبداً .

مكتبة الفكر الجديد

١٥-موقف الانتخاب

يلتَقونَ لشربِ نَخْبِ تَلاقٍ
هُوَ دائماً كأسُ استِبْعادِ .

إذا رأيتَ جماعةً فَلْتَسْأَلْها :
-قولي لي مَنْ ضَحيَّتُكِ أَقُلْ لكِ مَنْ أَنت .

مكتبة الفكر الجديد

١٦-ألا سكوتاً

ألا سكوتاً ولتَدَعوني أتحدّث
عن القلبِ مَفصوداً في أيّامِه

ألا سكوتاً ولتَدَعوني أتحدّث
عن الرّوح تُشْوى حَيّة

ألا سكوتاً ولتدَعوني ، سأُدَنّس
كلَّ بلاغَة وكلَّ زينة :
يَنْبَغي أن يقولَ المرءُ عَطَشَه .

مكتبة الفكر الجديد

١٧ - عوليس

جاءَ مِنْ حيثُ لا يُغامِرُ بالاقامة
سوى أبلَه أو مارد . مَشيَ على بحار
جامدة وأُخرى تَغْلي
وفي كلِّ فرسخ اغتذى مِنْ نباتٍ حرّيف
ومِنْ سَمَك يَلْتَهِمُ بَعضَه .
قابَلَ مرّةً ثعباناً يَنْفخ
فَنَفَخَ مثلَهُ موْهماً الثُعبان
بِكونِهما صِنْوَين . وفي الصحراء
بيعَ عبداً وهرب معَ الليل
مُتَخفيّاً وراءَ نوق حداة أَسْكَرَهُم
رديءُ خَمْرٍ وبريقُ نسوة ،
وفي الجبالِ كادَ مراراً أن يسقُط
من علٍ
وتشبّثَ في اللّحظة الأخيرَة بذكرى إنسان
ربّما كانَ فُقدانُه سَيُعوزُه .

مكتبة الفكر الجديد

١٨- المدنُ والقرى

المدُنُ تتْرُكُهُ جائعاً ، والقرى تتركُه
ملاحَقاً ، المُدُنُ والقرى تطردُه
وفي خِضَمّ أقصى تيّارٍ
عندَما يَستوي الشيءُ ونقيضُه
وتصيرُ الحياةُ مسألةَ نَظَرٍ :
فُكاهَةً فَجّةً أو مأساةً سوداء ،
فهوَ ينْقَلِبُ ويعودُ فيَلقى نفسَه .

مكتبة الفكر الجديد

١٩-المَجدُ لك

المَجْدُ لكَ ضاحكاً لبَنات الفلاّحين
كاشفاً عن آلَتكَ الجَنْسيَّةَ يَزَيْنَها فُضولاً
مقابلَ عنقود منَ العنَب
تَروحُ تُقَسِّطُهُ حبَّةً كلَّ ساعة
المَجْدُ لكَ سارقاً الرَّغيف
وعندما لا تَجد
تروحُ تَبْتَكِرُ وسائلَ شبَع ذهْنيّ
المجدُ لكَ بلا ابْتئاس
المجدُ لكَ كازاً للرّيح
المُعْوِلَة بأسنانكَ تتحدّاها
المَجدُ لكَ مُخاطِباً الجُنون
المجدُ لكَ ترتَقي سلالِمَ صحُف الهجرات
حيثُ يسرقونَكَ آخرَ قطرة
من الحبْر
وآخرَ خليَّة منَ الدِّماغ
المجدُ لكَ لاَ تَبْحَثُ عنْ مجد
المجدُ لكَ تتعَثّر
آناءَ الطفولة في سروالك
المجدُ لكَ ناشِداً في التَفَوُّقِ المَدرَسيّ
عزاءً للوحدة
المجدُ لكَ مُهاجراً

مكتبة الفكر الجديد

لا يُميِّزُ شمالاً عن الجنوب
المجدُ لكَ جالداً في الغُرَفِ نفسَك
فَمُصالحَها
المجدُ لكَ كازانوفا يَتلَعْثَم
المجدُ لكَ مُتْقناً اللُّعْبَة
المجدُ لكَ ناسِياً إيّاها سريعاً
المجدُ لكَ في «هرارك»
المجدُ لكَ تهرُب على القدم
من «شارلڤيل»
إلى «باريسَ» مُحْتَرِقة
المجدُ لكَ تَصْفُرُ وَيَدُك
في جَيْبِك
المجدُ لكَ مُتَوَهِّماً في الشجر
قطيعَ ذئاب
فتتأهّب للقتالِ بالأظافرِ والقَبْضة
المجدُ لَك
المجدُ لَك
وطوبى للكائنِ أيّاً كان عَدَمُه .

باريس ، صيف ١٩٩٠

مكتبة الفكر الجديد

عشرتُ عليكِ يا أُخَيَّتي في المسافة : طفلاً كُنتِ . أَلْقيتُ التحيّةَ ، وجَثَوتُ عندَ قدَمَيكِ متسائلاً عنْ أعراف هذه البلاد . فلا أفضلَ لدخولِ أسرار مدينة وسرائرها منْ قَلبِ امرأة ، وإذا ما تَمَنَّعَ القلبُ فحفاوة الجسد ، ولن يكونَ ذاكَ أضعف الإيمان . لمّا كنّا من قرّاء النجوم والرّملِ والأكُفِ والبواطنِ والعلامات ، ولمّا كانَ يهمُزُنا منذُ أوّلِ الشَوْطَ هاجسُ جوعٍ لا وَضاعةَ فيه ، فسَنَعرفُ أن نَتَهَجّى على امتداد جسدكِ سوانحَ الروحِ ، وسنَقرأُ في عطايا البَشَرَةِ ما يُضمِرُ قَلبُ امرأةٍ تَمتَحنُ براعةَ غريبٍ في إنعاشِ الجسوم .

في الصُبحِ ستمنحينَ المُسافرَ بَعْضَ الأعشاب . وطوالَ المسافَة سيتَذَكَّرُ أنّكِ بينَ الفينةِ والفينة ، عندما يهدأُ شخيرُكِ شخيرُ اللبوة ، كنتِ تنزلين بيدكِ الى موضعِ العانة وترفعينها مُتشمِّمَةً بقايا الرَّجلِ الضيفِ فيكِ ، مُتَحَدِّثَةً عن رَوائحِ الطلْعِ في صبائحِ نيسان . هكذا سيُطيلُ التَفَكُّرَ في عجيبَتِكِ ، فيمَا يجهَدُ في أنْ يُثَبِّتَ في الذاكِرَةِ أشياءَ أرضِهِ ، هيَ البعيدة .

الدار البيضاء ، صيف ١٩٩٠

مكتبة الفكر الجديد

١ - حَرَكيّة رامبو

طويلاً في «الأوغادين»
يهرُبُ منكَ وجهُه . حيثُما تجلس القافلة
باسطةً على الرّمل
ميراثَ طبائعِها المُتعاقِب
من يد إلى يد
ومِن دُخيلاء الى أخرى
يمرّ هوَ مُسرعاً نحوَ لا أحدَ يعرِفُ أين .

في تقاطع الرّياح لم تتكَسَّرْ بوصَلتُه
لكنْ في رَكضه «الماراتونيِّ» أثبتَ للعالم
أنَّ مِنْ جَوْهَرِ البَواصِلِ أن تكون
في تزامُنِها والكائنَ
مُخْتَلّة .

مكتبة الفكر الجديد

٢-شهادة ريلكه

« شاعرُ الوَردِ قتَلَتْهُ الوَردَة» ، يقولُ ، مُتصنّعاً الأسفَ ، ناقدٌ بورجوازيّ .

القصيدةُ كانَ يرى شرطَها
في ألفِ نافذة تُفْتَح
وألفِ مدينة تُزار
في ألفِ كتابٍ يُقرأُ وألفِ وردةٍ تُشَمّ ،
والوَردُ ،
المُقرُّ دائماً بِفَضلِ الشعراء ،
كَثَّفَ عُصارَتَهُ كلَّها
فكانَ ذلكَ السُّمُّ الذي وَهَبَ راينر ماريا
رصاصةَ الرَّحمَة التي سيروحُ بعْدَه
شاعرٌ مِنَ البَصرَةِ مَشْجوجُ القَلب
يتَلمسّها ، سُدىً ، مِنْ ربٍّ صامت .

شاعرُ الوَردِ لَمْ تَقْتُلْهُ الوردَة
بل منَحَتْه
« نعاسَ لا-أحد في جُفونِها الكثيرة» * .

* :من أبيات لريلكه تركَها شاهدةً لقبره . وفي القطعة إشارة إلى وفاة الشاعر متأثراً بلسعةِ وردة في بستان كان هو يعنى به .

مكتبة الفكر الجديد

٣- حضور السيّاب

مِنْ جيكورَ إلى درَم
ومِنْ بَغْدادَ إلى روما
وفي جميع الأماكنِ التي لَمْ يَزُرْ ،
والتي ما برِحَ خيالُه
الضّامرُ يُمارسُ فيها
رقصَتَهُ الشَّبَحيَّة
بلا جنائزيَّةٍ ولا عويل
ترونَ طيفاً على عُكّاز
العُكّازُ مُشعٌّ بحرارَةِ الطَّيْف ،
والإثنان
يفيئانِ إلى خَبيئاتٍ في الغابة
لا يعرفُ مساربَها إلاّ الأطفال .

الدار البيضاء ، صيف ١٩٩٠

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

المجموعة الثالثة

عراقيّات

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

عراقيات

-إلى أحمد أمير

-١-

أُولاءِ نحنُ في حلُم الشاعر
عراقيّون
بلا مناحة
نفتّشُ في جيوبِ الصحراء
عن قطعةٍ حلوى نسيتْها الروح
ونَودّ أنْ نستأنفَ حواراً
افلاطونيّاً
غطّى عليه هديرُ طائرةٍ شبحيّة .
نبحثُ أيضاً
عن المجلّدِ الثالثِ من أعمالِ
دستويفسكي
ربّما وفرتْهُ النيرانُ . مَنْ يعثرْ على هذا كلّه ،
أو على يدٍ مبتورةٍ أو مخيّلة
هائمة ، فَليبعثْ به
إلى الشّاعر ،
سكرتيرنا المتطوّع ، نادِينا الأزليّ .

مكتبة الفكر الجديد

-٢-

«مَن يُجالِسُكَ؟ معَ مَن تشربُ وتتغدّى؟» ، كتبَ لي ، قبلَ سنوات ، صاحبٌ وجدتُ في رسالته الغايةِ في اليُسرِ ما ينفذُ إلى دواخلِ منفيٍّ أكثرَ مِمّا تقدرُ أن تفعل ألفُ معالجَة مسهبة للاغتراب .

مِن سِنينَ ، وهذه الجملةُ المرميّةُ في عَرضِ خِطاب يتوسّلُ الفصاحةَ فلا يفعلُ سوى أنْ يشقّ فيها ، بفضلِ تلعثمه الحاسر ، ينابيعَ للمعنى ليسَ تُعَدّ ، مِن سِنينَ وهذهِ الجملةُ تُضيء عقلي وتَهدي مصيري .

-مَن يجالسُكَ؟ معَ مَن تشربُ وتتغدّى الآنَ في موتِكَ الحيّ أو حياتِكَ الميّتةِ؟ ، أقول له .

-٣-

قطعتُ مئةَ كيلومترٍ في الصحراء ، يقولُ ناجٍ ،
وأضعافَها في الذاكرة ،
وأنّى رحتُ كانَ غناءُ الموتى
يهدرُ ورائي ، يتقدّمني .

أبداً لم أحسبْ

مكتبة الفكر الجديد

أنّ في مقدور الموتى أنْ يُطلقوا
هكذا العنانَ لعقيرتهم .

أمّ جمّة
تتجاوبُ أصواتُها على مدى السمع
المستضيفِ فجأةً ألفَ سمع .

أنّى سرتُ
كانت الأشياءُ من تلقاء ذاتِها تتحرّك
وإلى أصحابها تُشير .
هذه الفكرةُ الشاردةُ لو أتبعُها ،
فإلى أيّ وعي تقود؟ ،
جزمةُ الطفلِ هَذه ألَنْ تتكلّم؟

-٤

أينَما سرتُ تَشكّلَ الجنوب
ثانيةً في مدايَ ، يتشكّل
غابةً من النخلِ بعدَ غابة ،
وإذْ يتشوّشُ الفضاءُ ويرتسم
سرابٌ في أفقي ،

مكتبة الفكر الجديد

فالماءُ كلّهُ وافدٌ إليَّ ،
ماءٌ كثير ،
جنوبٌ كثير ،
ماءٌ جنوب ،
جنوبٌ ماء .

باريس ، ١٩٩٢

مكتبة الفكر الجديد

الآنَ تبدأُ قصيدةُ تداعياتك
هذه التي تتصاعدُ من رؤيةِ التراب
وهوَ ينطبقُ مرّةً وإلى الأبد
على وجهكَ الآخر ، ذلكَ النقيض
الذي طالما ركّزَ جُلَّ سعيهِ في إماتَتِك .

في الوحلِ أيضاً ، وفي الطين .
تتذكّرُ كيفَ حشوتَ بهِ فاك
ذات مساءٍ تجلٌّ في إشبيلية .
كنتَ والمسيح
في جُمعته الحزينة بطلَي مأساة .
لهُ كانت العذارى يشققنَ ثيابهنَّ ،
ولكَ أنت
لم يكن غيرُ مواكبَ تُعْوِلُ خفيضاً في الروح .

إن كنتَ تتحدّثُ عن تغرّبٍ جديد ،
فلتبدأه الآن . الآنَ وهنا ،
فلتكشفْ عن نيّتكَ الحقّة
في أن تخرجَ للكون
عارياً إلاّ من هشاشتك .

مكتبة الفكر الجديد

خاطبِ الحجرَ ، قلْ
ما لا يُفهَم ،
إجترحْ معجزةً غيرَ ذاتِ بال ،
أو فأوثقْ ذراعيكَ من الخلف
وامضِ في رحلةِ النهاية في
قلبِ «السّين» .

ساعةُ المكاشفة هيَ هذه
والحكمةُ إلى الوراء صارتْ ، والعالَمُ في طيش .

من هذه الصحوةِ الواسعة
التي الآنَ تأتيك ،
والتي في انتظارها أنفقتَ العُمر
جعيراً أو عمَلاً
هوَ بالانتحار أشبَه ،
من هذه الصحوةِ ترتدُّ الآن
إلى حياتك
كالعائدِ فجأةً من قطبِ الموت .

حدّثْنا عن متاعبِ التغرّبِ عن الذات .
قلْ لنا كيفَ يلجُ المرءُ إلى حصونِ نفسِه
وهوَ يستنيرُ بذبالةٍ باهتة ،
مُمسكاً بحشاشتهِ على رأسِ الرمح .

مكتبة الفكر الجديد

ستلزمُ أعوامٌ لاستلاله
من أحشائك
بخفّة .
في انتظار ذلكَ ستَقدر
أن تستندَ عليهِ
مثلَ صديق .

فرصةٌ أخرى معطاةٌ للكائن .
ليُجرّبَ ويُجرّب .
يتعوّدُ المشيَ من جديد ،
وإذا أمكنَ فليتعلّمِ الكلامَ ، ولْـ
يكتبْ نفسَه .

سيأتي بعضٌ
ويلقونَ في بئركَ حجراً مسموماً ،
يبصقونَ على ذكرى أعمالك ،
ويَشطبونَ على صنيعكَ كلّه .
هَبْهم الآنَ في غنائكَ الضمانة
في أنّكَ لن تسمعهم .
منذُ هذه اللحظة أنتَ في أبعدِ إقليم .
ذلكَ الاقليم الكائن
في صميم مَجاهلكَ ، لستَ لتقدر
أنتَ نفسكَ أن تقتحمَه

مكتبة الفكر الجديد

إذا لم تقدّم الدلائلَ الكافية
على حُسنِ نواياك .

ما تُسمّي هذا إنْ لم يكنْ الحريّة
تُكتَشَف
أو نقاوة الداخل استُعيدتْ أخيراً؟
يولدُ الكائنُ في الفراغِ
ويمضي يُؤنّث
بعضهم ينفقُ العمرَ كلّه
في نحتِ حجارةٍ يتيمة .

عزلةٌ تقذفُ بكَ دفعةً واحدة
إبناً للكون .
ما الفرقُ ياترى بينكَ وبينَ
حجرٍ فسفوريّ
في قاع البحر ،
أو فراشةٍ بريئةٍ من ألوانها ،
أو مَجرّة؟

عهدُ صداقةٍ جديدٌ معَ نفسكَ يبدأ .

نابشاً الحجرَ غيرَ الماديّ
المتراكمَ على بصيرتِك

مكتبة الفكر الجديد

رافعاً الغشاوةَ شيئاً فشيئاً
شاقّاً الضبابَ بذراعَي سبّاح
لا تفصلهُ عن الجُرف
سوى فسحة كبيرة ومعَ ذلك
فهيَ عابقةٌ بنَداوةِ الشطوط ،
خابطاً يمنةً ويسرة ،
متشمّماً حشائشَ يرفعها
إليكَ المدّ
وأسماكاً تعلقُ بحزامكَ كالأزرار ،
ستروحُ تُنقّبُ عن طفولة .

الموتى خصوصاً
لكلّ واحد مزارهُ في القلب
محفّتهُ الملكيّةُ تتقدّمُ في مفازةِ الرّوح .
هل عُملةُ الموتى هيَ ما ينقص؟
سَتَسكُّ لهم من أعضائكَ نقوداً
هل المراثي هيَ ما يَعوز؟
ستفصّلُ لهم اللغةَ مرثيّةً مديدة
تُلقيها عليهم كعباءةٍ من
وَبرٍ فاخر .

هذه التداعياتُ تأتي في الليل
لهيَ من العدَمِ أفضل .

في الحظائرِ أيضاً يولدُ الوعي ،
والبصيرةُ في الزّبلِ كذلكَ تتفتّح .

ستُجلسُ الكائنَ في منزلكَ طويلاً
سترجوهُ أن يعرضَ أسبابَه
تبحثُ معهُ في باعثِ كلّ ما يُسيء
وللوفاق تجترحُ بيتاً .

ستعيشُ من أعمالٍ يدويّة
ستكسلُ كثيراً
تتبطّلُ تحتَ شمسٍ تحملها
في أعماقك
سَتمنحُ دروساً في العربيّة لسائحة
تُبعدِها أخيراً صعوبةُ الضّاد
عن مشاغلك .
وفي الليل ،
إذْ تعودُ إلى دارِكَ ، تخلعُ باديءَ ذي بدءٍ نَعلَيك
كالمُتعبّد
يدخلُ مزارَ وليّهِ الأثير .

أنتَ هذا الذي سهرَ واللغة
صُحبةَ قنديل
في القلبِ كانت الفتيلةُ مغروسة .

مكتبة الفكر الجديد

لن يقبعَ اللغزُ في عُجمتهِ طويلاً
ولن تحتجبَ إلى الأبد
الأمُّ-
العاشقةُ-
الأرضُ الثانيةُ-
القصيدة .

باريس ، كانون الثاني/ ديسمبر ١٩٩٢

مكتبة الفكر الجديد

ليسَ لي في الهواءِ المُتَوالِد
من ضربةِ عصا ألَمي السِّحريّة
غير أن أُعلنَ الآنَ موتي .
أُريدُ كفَناً
من نسيج أمّي الهفهاف
بدونه سأؤجّلُ رحيلي عنكم
إلى الأبَد .

بِجَسَديَ المنتفضِ من قبل
سأمنعُ عنكمُ الفضاءات .
سأطوفُ في أعيادكم لأخرّبَها .
سأُفسدُ جميعَ القصائد .
في كلِّ كنايةٍ ستَقابلونني .
ستصرخونَ : ألغوثَ ألا يا هذا
سَددتَ علينا منافذَ الهواء .

بأسرابِ طائراتكم المُخترقة
جدارَ الصوت
بأساطيلكم النغلة ، بالتوماهاوك ،
وزحفاً على الرّكَبِ إذا اقتضى الأمر
إذهبوا إليها زرافاتٍ لا وحدانا

مكتبة الفكر الجديد

أسجدوا أمامَها أوّلاً
ثمّ قولوا : يا سيّدة
إبنُك يرفض
أن يُشرّفنا برحيله
من دونِ كفنٍ نَسجتْهُ كفّاك .

عندَما تعودون
ستلقونَني وقد صرت
في الشفّافيّة
الملاك الحارسَ لبِضْعِ كلماتٍ أثيرة
كما كنتُ عليه دوماً
ولكنّكم لا تَعلمون .

باريس ، ١٩٩٣

مكتبة الفكر الجديد

ينبغي أنْ تُحبَّ بنيكَ الكفايةْ
كي يظلَّ على أرضِ موتاكَ بُعضُ حياةْ .

ينبغي أنْ تحبَّ بنيك
الكفاية
لكي لا يجيء
أوّلُ القادمينْ
ويُطعمهم أرذلَ الزادِ في كلّ مرّة .

ينبغي يا عراقْ
أنْ تُحبَّ بنيك
الكفاية .

باريس ، ١٩٩٣

مكتبة الفكر الجديد

جئتِ من غايةِ التعبِ وإلى
غايةِ التعبِ تمضين .
عناءَ الفلاّحين! على رأسكِ الصغيرةِ كانوا يُحَمِّلون
عوائدَ الحقول
بل طالما عَدَدْتُ رأسَكِ حقلاً يتنقّل .

آه ماذا صنعتِ بي
بشكواكِ أيّتها الأمُّ العذبة؟
أقولها لكِ بلا أنانيةٍ ، ولا
تخلٍّ
(أأنا عنكِ أتخلّى؟)

إبنُكِ الآنَ صنْوُكِ في التعبِ الكونيّ ،
وهاهوَ يقفُ راجفاً ليُحيّيك .

بينَ مَن تكونينَ الآنَ لو بلغتكِ هذه التحيّة؟

باريس ، ١٩٩٣

مكتبة الفكر الجديد

-١

نحنُ هنا ممّا بعدَ العراق
قوافلُ مهزومةٌ ، شفاهٌ مفطومة
نسعلُ في الليلِ من غمامةٍ ثقيلةٍ على الروح .

جئنا أمسِ في حِمَم طوفانيّة
نعرضُ قلوبنا زهرةً على السابلة
وكانَ ينبغي أن نجتاز مدناً كثيرة
لنعرفَ أنّ للعالَم مهازلَ جمّة
يتسلّى بعرضها على الشمس .

-٢

أنّى رحتُ
وجدتُ جموعاً منتشية
بالتمثيل بأحزان زائرٍ جديد
وأنّى حللتُ
لم أرَ حولي إلاّ أيادي
أيادي للأخذ

مكتبة الفكر الجديد

وأخرى للقتل
أو للتلويح الساخر بلا سبب

أنا ، يداي
تمرّستا في التلويح لأشباح
ترفض أن تتجسّدَ وإنّي
لَمُفضّلُها على الجميعِ طَراً .

-٣

أبداً لن نُحسِن
العزفَ على قيثار الكذبة
ولن نقول للصديقِ أبداً :
«كفى هراءً!»

باريس ، ١٩٩٣

مكتبة الفكر الجديد

مرثيّة أحمد أمير ❖

يتأسّسُ المنفى على موتِ
كائنٍ عظيمٍ ، وبموتِك
صارَ لِلعراقيّين منفى شاسع
المنفى قبلَ ذاكَ هلامٌ يتلكأ
حالةٌ من نصفِ إحساسٍ بالعبثِ ، بعضُ شعور
بوجود لا التحامَ له
وفي الدّاخل ذهولٌ يتردّد
حيرةٌ تحتدمُ ثمّ سرعانَ ما تنكفيء
فإذا ما سقطُ عظيمٌ مجلّلاً بدمه
جلستْ أمّةُ الشتاتِ بجميع خلائطها
تجأرُ وتتملّى في أعطافِ الميّت
حقيقتها المرّةَ لها تلوح
واليومَ تلوحُ بموتكَ حقيقةً ولا أمضّ .

في لياليكَ المسَمَّرةِ على دولابِ العزلة
كانَ ينبغي أن يرقصَ أمامكَ شعبٌ بأكملِه
كانَ ينبغي أن يُقبلَ العراق
أن نمْثلَ أمامكَ جميعاً كالراقصين
أن نمْثلَ أمامكَ ونحتفل
ليلةً بعدَ ليلةٍ كما في «تابوت العهد»

مكتبة الفكر الجديد

أن نُحرّكَ أجسامَنا كالحواة
أو نُرقّصَ أعرافَنا كديكِ الأعراس
كانَ ينبغي أن ننتشلَكَ
من غوايةِ الموتِ هذه التي يُقال
إنّها كانت تتمشى طويلاً في كآبتك .

كنتَ تتجلّى كما لا يقدرُ أن يفعل
أحدٌ غيرك
يكبر الحضورُ حولكَ ، وفيكَ يكبُر
تتسّعُ الدقائق ، أزليّةً تصير
وتصيرُ أنتَ قلبَ اللحظة
ثمّ تأخذ بالشحوبِ رويداً رويداً
عائداً إلى ذاتكَ كمن يُبحر في أقصى أوديسة
عرفتْها البحارُ أبداً
ثمّ إذْ تبلغُ القاع ، قاعَ قلبك
تثْبتُ ههناكَ كأنكَ ما خرجتَ منهُ أبداً .

من رحيلكَ المتدرّج ، من غيبوتك
كنتُ أدركُ أنّهُ قد تَوغّلَ فيكَ هاجسُ العراق .
زاركَ العراقُ بمصائرِه كلّها
وها أنتَ تمضي في الغيبة
أيْ في قلبِ الحضور
تذرعُ مُدنَهُ واحدةً فواحدة .

مكتبة الفكر الجديد

كنتَ في رحلاتكَ هذه تُقابل
يتامى كلّ الحروب ،
وجميعَ قتلى الطفولةِ . لا مسافرَ عرفَ مثلَك
رحيلاً كهذا!
من قرون تكسّرتْ عصيُّ الرُّحّل
والمعاطفُ مزّقتْها رياحُ البريّة
إلاّ أنتَ كالمتصوّفة
الذينَ حفظتَ في صِباكَ في «الناصريّة» ،
تتورّقُ في يديكَ كالروزنامةِ المسافات .

كنتَ تقولُ كابن عربيّ :
«هذا لا يُعوّلُ عليه» ، وكالحلاّج
كنتَ تصرخُ :«أنا الحقُّ» ، ولفرطِ
ما كنتَ مُقيماً في الكليّة ،
لم يكن للتفاصيلِ عليكَ أدنى سلطان .

كنتَ تصرخُ بالعاميّة :
«هيْ ولَكْ يا فرات!» ،
يا فراتُ هيه ويلَك!
كأنّكَ لفرطِ ما لاذتِ الناسُ بالصمت
كنتَ تحلمُ بتمرّد للطبيعة ،
تريدُ أن يتجدّدَ طوفان «أورَ» ويكنسَ الفقرَ كلّه
المُرخي سدولَهُ على المدينة .

مكتبة الفكر الجديد

الموتُ كنتَ تتلقّاهُ مثْلَ مزحة
ما كنتَ تصدّقُ أنّهُ على إغاضتكَ سيجرؤ
أوَ يَخطفُ أحدٌ (هل الموتُ أحدٌ؟) مَنْ كانَ يُقيم
بين الحضور والغيبةِ ، ساكناً الما-بَين؟

«الموتُ ، كنتَ تقولُ ، دعابةٌ باهتة
لا يحسنُ أن تُحملَ على محملِ الجدّ أبداً» .

بعضُهم تحدّثَ بِخصوصك ،
عن عملٍ ناقص .
وأنا أتذكّرُ أنّكَ كنتَ
على سجيّتك ،
كما عرفتُكَ في «الناصريّة» ،
ترسمُ وتهدي لوحاتكَ للطارقين ،
فما يكونُ ما تخلّيتَ عنه
لكلِّ واحد ،
إن لم يكن صنيعكَ المكتمل ،
تَوزّعَ عن كرمٍ على الجميع؟

المتاحفُ كنتَ تراها كمقابر
مأهولة بأجداث أعمال .
فالعملُ في عُرفكَ يُتوفّى

مكتبة الفكر الجديد

ما إنْ يهجرهُ الهواءُ وغبارُ الأحياء .
والصالونات
كنّا نروحُ إليها مشاغبين
لا عن جهلٍ بل تحدّياً
أو عن بطرٍ
فالبَطرُ السامي ، ذلكَ الذي كان يَحدو
بتصوّفٍ إلى الرقص
على ذرى القصب الجارحةِ كسكاكين ،
كنتَ أنتَ سيّدَهُ أيضاً .

في السياسةِ أو المحبّة
كنتَ كالشعلةِ تتفرّقُ على الجميع
ثمّ إذْ تعودُ متعباً إلى شساعتك ،
تصرخُ : ما تفعلُ أيضاً هذه الليلة ،
هذهِ الليلةَ عندي يا عراق؟

الموتى كنتَ تراهم لا كالأشباح
بل تحسّ بحضورهم الحقّ يتجسّد
قدّامكَ في الفضاء حتّى لتهمّ
بالوثبِ مراراً لتلمسَه .
تقتربُ فَيَتراجعون
وهذه المشاكسةُ ، شعبٌ كامل
من الأمواتِ يُشاكسُك ،

هيَ أيضاً ألقتْ جمرتَها في رحابتك .

عندما كنتَ تتمادى في غيبتك
كنتُ أسألكَ : ما تفعلُ يا أحمد؟
فتجيبُ أنّكَ كنتَ تفتح
خزائنَ غير مرئيّةٍ ، فأقولُ لك :
وما يقبعُ فيها؟
فتقولُ : هذا ما لا أقدر
أن أفصحَ عنهُ بعدُ ، وترتسم
على كيانكَ كلّه ابتسامة .

«القطاراتُ خُلقتْ لتُفوّت» ،
قلتَ لي مرّةً وقد أضَعنا
قطاراً في الريف ،
فمَضينا نستكشفُ المكانَ كلّه .

الآنَ أُبصرُ بكاملِ الصفاء
ملائكةً من أجلكَ تتنازل
وتأتيكَ بما تريد
من ألوانٍ ومن باذخِ النسيج ،
وأراكَ تغذّ بالرسم عَليها
كما كنتَ تفعل أبداً
يُقبلُ الصباحُ إليكَ وأنتَ ترسم

مكتبة الفكر الجديد

ويُقبلُ المساء إليكَ وأنتَ ترسم
وعندما يكتملُ الشيء
تجودُ به على أوّل الزائرين ،
تحسبُ أنّهُ ما إنْ يكتملُ حتّى
يكفّ عن أن يكونَ عائداً إليك .

في القطار من باريس إلى برلين ، ٢٣-٥-١٩٩٤

* أحمد أمير : رسّام عراقيّ وصديق طفولة لصاحب هذه المجموعة ، كان يحتلّ مكانة بارزة في الرسم العراقيّ الجديد . توفّي ببرلين في ١٩٩٤/٥/٢٢ عن اثنتين وأربعين سنة .

مكتبة الفكر الجديد

أمس كتبَ لكَ صهركَ النبيل عن وفاة والدكَ سطوراً فذّة . قالَ إنّه تُوفّيَ صافيَ السريرة معتدلَ القامة . لم تحْنِه سنواته الأربع والسبعون قيدَ شعرة . لم يجحد الحياة ، وبقناعاته الطيّبة لم يكفرْ . حسرتهُ الوحيدة كانت عليك . قَبل وفاته بعشرين يوماً ، وكأنّه يعلم ، طلب أن يأخذوه إلى بيت ولده البكر . هناكَ تُوفّيَ حسبما يقتضيه عرف الآباء في بلدك . في آخر نزاع مع الموت ، طلبَ أنْ يرى صورتك . إجتذبَ نفساً عميقاً ، مُعرباً عن ارتياحه لمرأى إنسان حبيب . إغرورقتْ عيناه بالدمع ، ثمّ بعد ذلك لا شيء . غادرَ الرجلُ هذا العالَم مطبقاً أجفانه على ملامحك .

أوَ تحلمُ بأنْ تنالَ في حياتك ثناءً أكبر؟ هذا الرجل الذي غادرتَه نحوَ العالم ، غيرَ عارفٍ إن كنت ستراه بعد ذلك ثانية ، شاءَ ، مع كلّ شيء ، أن يهبك من حياته اللحظات الأخيرة . اللحظات التي ربّما كانت الأكثر كثافةً وصحواً . وهو نفسه من ذهبَ ذات يوم يسأل زائري البلاد إنْ كانوا قابلوك في البلاد الغريبة . قال لهم : «اليدُ التي صافحت يدَ ولدي ، هذه اليد أريد أنا اليومَ أن أشدّ عليها بقوّة» . الجميع ، يُقالُ ، أحزنَهم الموقف . حتّى كارهوكَ صاروا للحظة غير كارهينَ لك . بقوّةِ الصدق في هذا الكائن صاروا مُحبيّكَ فجأة .

أبصرَ والدك أجيالاً كاملةً تكبرُ أمامه . بعضهم يروح في الدوّامة المحوّمة ، ومنها لا يرجع . وبعضهم الآخر يسهر على ديمومة الحياة في

مكتبة الفكر الجديد

الظلّ ، مانحاً في صيرورته المتقشفة للوجود معنى .

صار أبوك بطريركاً ذا مهابة . أبصر حتّى أحفاده آباءاً يُصبحون . الجوع ، نفسه ، كان عليه أخفّ ، لأنّه جوعٌ مُتقاسَم . إلاّ أنتَ ، ظللتَ تسهّده باغترابك المديد . من ذويكَ الفلاّحين لا أحدَ أدرك . يتساءلونَ : ما معنى أن تشطّ في البعد ، لا أحدَ يعلم من يجالسكَ ، ولا مَن يقدّم لك جرعة ماء إنْ مرضْت؟ يقال إنّ البلاد التي أنتَ فيها مغزوّة بالثلج الساقط من دون انقطاع . أفَما تخافُ على دمك من أن يجفّ ، أو ينشف ذلك السائل الأغلى ، والذي هو دم الروح؟

لكنهم لو رأوكَ لحظةً واحدةً لأدركوا شرطَ من يلمح الأشياء وهي تتصلّب كالدبابيس في الدم . مطرقة القدَر العملاقة تعلو وتهبط . لو رأوكَ لحظةً لأدركوا أنّك دخلتَ ، من زمان ، دربَ «مَن صدّ ما ردّ» . هائماً حتّى الجنون في البرزخ الطويل والضيّق المدعوّ «الحياة» . هناكَ ، في ما لا يُتَصوَّر ، حيث الشتات ، حتى الشتات ، يأكلُ «أبناءه» .

باريس ، ١٣/ ١٢/ ١٩٩٤

مكتبة الفكر الجديد

المجموعة الرابعة

تدابير سفرٍ قادم

(باريس، ١٩٩٣)

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

الشاعرُ الحقُّ يجلسُ إلى الطاولةِ وحدَه
فإذا ما شرعَ بافتراعِ ورقةٍ بيضاء
تناهى إليهِ صخبُ شعوبٍ
تركضُ حميّتُها في دمِه

الشاعرُ الحقُّ يجلسُ إلى الورقةِ وحدَه
ومن قلمِه (قلبِه) تهمي
أمطارٌ تجيءُ دائماً لتُدشّن
أرضاً بقيتْ حتّى هذه اللحظةِ بشعوبها كلّها
كمَجال غيرِ مسكون
ينتظرُ أنْ يُعمّدَهُ الشاعر ويقولَ له :
نفسَكَ ستكون .

الشاعرُ الحقُّ يجلسُ إلى القصيدةِ وحدَه .

مكتبة الفكر الجديد

مِنَ السهلِ أنْ يفقدَ المرءُ عقلَه . يكفي لهذا شلّةٌ من الأصدقاء تلوّحُ لكَ بشوائبَ غير مرئيّة من لَدُنْكَ يدّعونَ أنّها تُلطّخُ في نظر أوّل القادمينَ مرآةَ روحكَ وتُصوّرُكَ للْبشرِ مسْخاً . يُضافُ إلى هذا قلبٌ ميقانٌ غُرِسَ فيكَ منذُ لحظة الولادة . عمّا قريب ، يقفُ أحدُهم ويهتفُ :«هذا الكائنُ يتصوّرُ نفسَهُ ضحيّة» . وإنّكَ بالفعلِ لَضحيّة .

يدْعونكَ لسَهرة . من المطبخ تتناهى إليكَ وشوشاتٌ تُميّزُ عبرَها اسمَكَ وكلماتكَ وهي تَتّخَذُ في فَم الصاحب-العدوّ أصداء شنيعة . «يشكّونَ في صورتكَ دبابيسَ» ، يقولُ ريلكه . إنْ أنتَ لم تُصفّحْ أذنيكَ بالرصاص ، ولو أنّ أُذنكَ الداخليّةَ ، أُذنَ الروح ، لا تمتلك المناعةَ الكافيةَ لصدّ جيوش اللغطِ هذه من حولكَ ، فالأجدى أن تتطامنَ لهذه الحقيقةِ لا مفرّ لكَ منها منذ الآن :

إنّكَ

لَـ

مكتبة الفكر الجديد

بسُرعة ، حتّى قبلَ أن تُدركَ كيفَ حدثَ ذلكَ ، يتوصّلونَ إلى التفاهم ويبتكرونَ لغاتٍ من الغمز واللمز لا تفقهُها . يُسمّونَ هذا سرّ الألفة! ألا كَمْ يُخطئونَ ! كلّ رطانةٍ لا يفهمها الزائرُ الجديد هيَ لغةٌ فاشيّة .

زوّادةٌ من الكتبِ والتمرِ ، وصحراءُ في عرضِ العالم ، هذا ما سيكونُ عليه مصيركُ يا كاظمُ ، هل تسمعني؟ ، هذا ما سيكونُ عليه مصيرُكَ إلى الأبد . ولَكَ أن تبدأ الآنَ الرحلة ، رحلةَ العُمرِ ، من هذه اللحظة . كلّ رقعةٍ ، حتّى أجمل الرياض ، لهيَ صالحةٌ لتكونَ مجالاً لعبورِ صحراء .

مكتبة الفكر الجديد

كنتُ آتياً لتوديع صديقي . كانَ حولَهُ رهطٌ من المودّعين ، كلٌّ جاءَ بتعلّته . فيما أتقدّمُ ، كانَ وجهُ صديقي يدنو ويبتعدُ ، مغشيّاً عليه من زحمةِ المُجاملاتِ ودخان لا تكادُ تراهُ العينُ المجرّدةُ يَصّاعدُ من الجُهدِ الذي تبذلهُ آلةُ كَلٍّ باطنٍ . الداخلُ البشريُّ مصنعٌ لو تأتّى لكلّ واحدٍ أن يسمعَ ضوضاءَهُ لما بقيَتْ في العالَم أذُنٌ تَسمع .

كانَ وجهُ صديقي يدنو ويبتعد . وأنا أتقدّم . بعدَ لحظات ، أخذَهُ قطارُ البشَرِ الماشي ببطء وسرعة . من نوافذهِ المتحرّكة (أم الواقفة؟) ميّزتُ وجهَ صديقي . لكنّهُ ما عادَ يميّزني : نسيَ ملامحي من كثرةِ المُجاملاتِ ودخانِ كلّ باطن . ثمّ ها هوَذا يُميّزني ، لكنّي ما عدتُ أُميّزهُ لفرطِ ما أنا مشغولٌ بِشدّ نياطِ هذا القلبِ الذي صارَ كالحذاء تنحلّ سيورهُ دائماً في اللحظةِ غير المناسبة .

خفتُ لو توقّفتُ أن يبتعدَ القطار ، وأنا كلّما ابتعدَ الشيءُ ظننتُ أنّهُ سيبتعدُ إلى الأبد ، خاسراً هكذا الفرصةَ في توديع صديقي . ولو أنّي ما ودّعتُهُ ، فسيظلُّ وجهُهُ عاملاً إلى الأبدِ فيَّ ، يدنو على هذه الشاكلة ويبتعد . كذلكَ فقد خفتُ ، لو سرتُ مبتعداً ، أن يلحقَ بي القطارُ ، وربّما سارَ على جسدي ، فأنا أعرفُ بالتجربةِ أنّ قطاراتِ البشر يمكن أن تُغيّرَ وجهتها في كلّ لحظة ، من دون انتباهٍ للماشين .

مكتبة الفكر الجديد

هكذا وَقفتُ في عرْض التيّار ، نهبةً للإشاراتِ المتعارضة ، أنتظرُ اللحظةَ التي يخلو فيها المشهدُ من ضجيجِ كلّ قطار ، وخصوصاً أنْ يهدأَ هذا الإيقاعُ الجنونيُّ ، الجنونيُّ حقّاً ، ترى فيه إلى زُحمةِ المُجاملاتِ ودخانِ البواطنِ ، وإلى وجهِ صديقكَ وهوَ -يا للتناوبِ المُريعِ!- يدنو ويبتعدُ ، يدنو ويبتعد .

مكتبة الفكر الجديد

قوتُ يومكَ ستَنالُه
بعَرَق وَرقِك ،
وإذا اَلليلُ عَسعسَ ، وإذا الصُّبح
تَنفّس ،
فَستكونُ مُزوَّجاً للقصيدة .

الطلاقُ هنا هوَ الجُنحةُ المُفرَدة
يُعاقَبُ عليها بالاعدام :

أما رأيتَ ثرثارينَ بَئسين
ليسَ يعرفونَ إلى الدعابة سبيلاً؟
هؤلاء أعدَمَتْهم ، وقد خانوها ،
حفنةُ أشعار .

مكتبة الفكر الجديد

ـ إلى بسّام حجّار

أبداً ما كانَ الشاعرُ عجولاً ، ولا هوَ بالمصطبر . تُقبلُ السوانحُ إليه بالقول ، فيتخلّى عن مشاغله . يذهبُ القولُ ، فتَسلوهُ روحُهُ راقدةً ، كجنيّةِ الحكايةِ ، في جارور .

يتناهى إليه كلامُ رفيقاته المُغنّياتِ في حوالكِ الجزُر . يخرجَ إذذاكَ من مَنامته . مُسَرنماً يُبحرُ في مَواجدِ الشعوب . والقلبُ ينزفُ على راحتَيه من مُتَراكم ألغاز يتَشخصنُ كلُّ واحد منها في النهارِ والليلِ ويطرقُ بابَ روحهِ يسألُ عن الحلّ . بدونِ حلّهِ ، تظلُّ مقلةُ اللغزِ أبداً تتضرّع . والشاعرُ على اكتراثهِ مجبول .

من معزله الجبليّ ، هذه الصحراء الشاقوليّة ، يُدحرجُ الحلول . وإذْ يموتُ ، تتجمّعُ من تلقاء ذاتها الألواحُ المكسّرَةُ ، في انتظارِ اليدِ الشقيقةِ التي تُكمِل الخطوط . . .

مكتبة الفكر الجديد

الفراغُ مُضرٌّ بالكائن . منهُ تُتسلّلُ هواجسُ تزحفُ كجيوشٍ من الرمال . يكفي أن تتبعَ هاجساً إلى مصبّهِ ، حتّى تتفتّحَ المسافةُ عن أهوالٍ ، والأهوالُ عن رزايا ، والرزايا بدورها عن معضلات .

كي تتفادى الأهوالَ ، ناهيكَ عن الرزايا والمعضلاتِ ، فلتُعمّرْ أيّها الكائنُ وقتَك . بكلّ شيءٍ وبِلا شيء . أوّلُ مشغلة تعرضُ نفسَها هي الجيّدة . فالفراغُ مضرٌّ بالكائن . منهُ تتسلّلُ هواجسُ تزحفُ كالأعداء .

مكتبة الفكر الجديد

عندَما يُقبلُ ما يدعوه العوامّ بالغمّ والمحلّلونَ بالعُصابِ ، فَلا أفضلَ ممّا يأتي : غيّرْ مكانَ جلستكَ ؛ أخرُجْ إلى طلاقة الهواءِ وتنفّسْ بعُمق وقوّة ؛ أرجيءِ المشاريعَ وقلْ لنفسكَ إنّها إنْ كانتْ ذاتَ شأنٍ فستَعودُ لا محالةَ وتنتظِم ؛ ضعْ يدَكَ في جيبكَ واصفرْ بلحنٍ محبوبٍ من لدُنكَ وتخيّلْ نفسَكَ عاشقاً في اليوم الأوّلِ من هيامِه . إقرأْ قصيدةً ، اقرأْها بصوتٍ عالٍ إن استطعتَ . آنَذاكَ ، سترى إلى الكلّ وقد فقدَ رويداً رويداً كثافتَهُ الجهمةَ ، وإلى السمّ الجاري في عروقكَ وقد صارَ بعذوبةِ رحيقِ زهرة .

مكتبة الفكر الجديد

«أليفوري»

-إلى صبحي حديدي

كانَ سُلّمٌ يصعدُ نحوَ جنائنَ قوطيّة . في جميع النّوافيرِ يتكرّرُ الشكلُ نفسهُ : إلهٌ مجدوعُ الأنف ، معَ فارق في الملامحَ في كلّ مرّة . تارةً ، تكون الجبهةُ ممتدّةً ، وطوراً تضمُر . آونةً يكونُ الفمُ مفترّاً عن ابتسامة ، وأخرى عبوساً . واليدُ تحملُ هنا مزراقَ باخوسَ ، وهناكَ تتزيّنُ بريشة .

الليلَ كلّهُ ، وأنا أتأمّلُ الإلهَ ، مشدوهاً من تحوّلاتِ شكله ، باحثاً عن تفسيرِ هذا كلّه . في الصباح ، وجدتُ بحذاءِ المزراقِ رأسَ طريدة (هذا ما يُفسّرُ الفمَ العبوسَ : غضباً من التسلّلات) . وقريباً من الريشةِ ، وجدتُ تعاليمَ مخطوطةً ، وهنا مفتاحُ الابتسامة : إلهٌ يكتب .

«أيّها الإلهُ مَنْ جدَعَ أنفكَ؟» ، صاحَ قريني . وإذا بالهواء يجتذبهُ دفعةً واحدةً ، فبقيَ معلّقاً في العلاء : مَن يجرؤ على تذكيرِ إله بنَقصه؟ كنتُ ، ولا شكّ ، الأكثرَ حكمةً عندَما اقتربتُ من أنفهِ المَهيضِ وشرعتُ أُداعبُ أرنبَتَه . هنا ، تصاعدتِ الأغنيةُ ، خنّاءَ في البدءِ ، ثمّ ما لبثَ أن تَدوزَنَ من سحرها الفضاء .

أيّامُ البشرِ الفانينَ كلّها لا تُعادلُ لحظةً مقضّاةً في حضرةِ إلهيَ المجدوعِ الأنف ، المفترّ الفم عن ابتسامةٍ ، الحاملِ مزراقَ باخوسَ ، والمُشيرِ بلحنهِ الأخنّ إلى هربِ حياتي .

مكتبة الفكر الجديد

المريّة

-إلى خوان غويتيسولو

هيَ أندلسُ التكوُّنات
تَعدُ الكائنَ بِقوت لليالِيه
مُقبل من عصارةِ فكرِ نفسِه
وتُحيلُهُ إلى ساعاته
الأكثر مَضاءً فيهِ ، والأكثر حلكة .

من طرُق جانبيّة أتيناها .
هناكَ صحراءُ للويسترن-سباغيتي
وهناكَ جبلٌ في البحرِ كلّه يتمرأى
ربّما بسببهِ دُعيَتِ المدينة :
«ألمريّة» .

قَبْلَنا هامَ بها همنغواي
والساحرُ بينَ الجميعِ : ريلكه .

عندَما ذهبَ القومُ (حفنةُ محاضرين)
تسلّقتُ وحديَ الجبلَ المُفرد
متوكّئاً على عصا قويّة

مكتبة الفكر الجديد

من حُمّاي .

في الذروة ، عالقاً بجَحافلَ منَ الضوء ،
صارَ يتعذّرُ عليَّ النّزولُ شبْراً
تحتيَ الصخرُ يمتدُّ مثلَ إبَرٍ
قاطعةٍ ، أو مرايا تغلي .

قرّرتُ ، بحكمةٍ ، الانتظارَ ، وهلة .

الرجلُ لوّحَ لي بمنديل
وفي وسَطِ غابةِ الضوءِ رحتُ لا أُعاينُ إلاّ التماعَه
متّبعاً طريقي نزولاً .

هكذا طفتُ ربعَ المعمورة
آتياً إلى هنا لأُدرك
أنّ خيطَ «أريانَ» يمكنُ أن يُنقذ
لا فَحَسبُ بانتشالكَ من الهاوية
إلى عَلٍ
بل كذلكَ بإنزالكَ أسفلَ إلى البَشَر .

مكتبة الفكر الجديد

ليسَ أقسى على المرء من إضاعة كلامه . بلا كلامه يتقدّم للأشياء بيد حيّية . كالمذنبِ في كلّ ما قالَ أو فعلَ ، يسبقُ صنيعَهُ بالاعتذار . والطيّبون من أقرانه يتساءلونَ : مَنْ كسرَ ياتُرى نابضَ حياته؟ إنْ فاهَ بشيء ، فبالصمت بدءاً يفكّر . أو سارَ في فريق ، فمتعجّلاً اللحظةَ الأثيرةَ جداً ، والممقوتةَ جداً ، التي يفيءُ فيها إلى سجّانه ومُنقذه : وحدة الكيان . في العُري يبكي ويحتفل . آه ، والليلُ يطرُ مخاريزَ في فؤاده ، الليلُ يطرُ مَهاميز . . .

مكتبة الفكر الجديد

عندَما تطأُ أعتابَ مدينة أجنبيّة ، فتحاشَ في البدءِ ، لسنواتٍ إنْ أمكنَ ، رؤيةَ أبناء بَلدِك . لا كُرهاً لهم ، بل لأنَّ الغربةَ ، هذا الشيءَ الجهم ، تتركّزُ في جوارحِ البعضِ على هيئةِ سمومٍ تبحثُ عن أوّلِ قادمٍ من الوطن لتنقضَّ عليه .

قد يبعثونَ لكَ ، لو سمعوا بوجودكَ ، رُسُلاً . أُطردْهُمْ! أو يغنّونَ تحتَ نافذتكَ في الليلِ سيرانادات . لا تسمعْها!

عُدْ لهم عندَما تكونُ قويتَ في الروحِ وازددتَ ثِقَلا .

وحتّى بعدَ المَعاد ، بادلِ الجميعَ محبّةً صادقةً وحياديّة . لا تجعلْ ثالثاً بينَ قصيدتكَ والحياة .

أوغلْ في صداقةِ الشواطيء واعرفْ أنْ تَسْتَكْنهَ غوامضَ البلاد . إنْ شئتَ وسادةً ، فلتكنْ قواميسُكَ هيَ الوسادة . أو مُحاوراً ، فاخترْهُ بالتفضيلِ بينَ الموتى . بينَ الأحياء ، ستكونُ أنفقتَ خمسينَ حولاً من دون أن تُقابلَ مَثيلَ نيتشه . فما بالُكَ بمثيل الحلاّج؟

مكتبة الفكر الجديد

ناشراً ، كالصيّاد ، زَردَ لغته ، يقتنص الشاعرُ ، في الفضاء المتوالد بضربة من عصا ألمه ، أكواناً أثيرة . من كلّ واحد يصنعُ منزلاً لسواهُ ، وإذْ يكتملُ التكوينَ يعودُ إلى دارهِ الوحيدة الممكنة : مَشْغل أحزانه . السعادةُ دُرّةٌ نادرةٌ في هذا المجموع . لا يتنكّرُ لها إذْ تَجيءُ ، بيدَ أنّ غيابَها لا يُربِكُه . المعرفةُ الفرِحةُ هيَ مسعاهُ . لكنْ من أجلِ المعرفة الفرحة ، تكفي رَجاحَتُه . وهنا بالذات ، في الزمنِ الذي هوَ أبداً لقمةٌ لا تَسوغُ ، يكمنُ سخاؤه . كَشمشونَ في أيّام سَعده ، يستقبلُ من عندنا الرُّسُل . وإذْ يفيئونَ إلينا ، فملامحهُم المغسولةُ ، والفضاءُ الحيويُّ منها يفيضُ ، هيَ ، ياصاحِ ، خِلعَتُهُ علينا ، وعطيّتُه .

مكتبة الفكر الجديد

وحدَهُ يتصوّرُ يوسفُ . إنْ قالَ شيئاً
تبارى على لحمهِ الناقِضونْ
أو سكَتْ
قيلَ : في الشوطِ ضيّعَ قولَه .

همُ إخوةُ يوسفَ . من حقدِهم
تتعالى حرائقُ في خاطرِ الأَبِ . خُذْ محفلاً
من جوارحَ مختصماتٍ على طائرٍ في الفضاءْ
تجدْ نصبَ عينيكَ ما قدْ يكونُ شبيهاً بِهم .
إنّهم أمّةٌ من وَباءْ .

مكتبة الفكر الجديد

من انكماشٍ في القلبِ ، من رجّةٍ لا يُحَسُّ بها في الدماغِ بل في العصَبِ المنتشرِ في الكيانِ كلّه ، من ترنّحٍ في الدّاخلِ إذِ الكَائنُ تجوالٌ في ذاتِه لا ينقطعُ ، من لَوثةٍ مباغتةٍ ، ومِن انعدامٍ شهيّةٍ لكلّ شيءٍ إلاّ للحياةِ في تجلّيها الشاسعِ ، من تيّاراتٍ لا يَكادُ كرسيُّ الاعدامِ الكهربائيّ أن يُضارعَها في حِدّة ، من سُعالٍ في أقصى ردهاتِ الروحِ ، من ضحكٍ لا سببَ لهُ ، وبُكاءٍ لا دواعيَ تُمليهِ ، من هذا كلّه تعرفُ انهلالَ القصيدة .

مَن جَهلَ كلَّ هذهِ الضغوطِ ومَن ادّعى الكتابةَ مثلما يتنفّسُ ليس غيرَ نظّامٍ أو كاتب . ومتى عرفَ شاعرٌ الكتابة؟

مكتبة الفكر الجديد

مُفكّراً بأخلاق السيّد ، جلَسَ العبدُ باكياً غُربتَه . كانَ قد ضُرِبَ وأُهين . يبسطُ الذراعَ ، فتدمى فيها ندوبٌ ، ويُداعبُ القلبَ فينشقّ عن وجَع فيه غائر . بيدَ أنّ ما فلَعَ هامَ وعيِه نصفَين هوَ هذا : أنّهُ كانَ قد قَبلَ ، ولو في مَطلع شبابِه ، بشرطِه . لم يَرم أشياءَ السيّدِ من علٍ ، لا ولَم يسعَ حتّى لخَنقه في الليلِ خفْية . والآنَ يدورُ في حومة سعارِه لا يعرفُ إنْ كانَ عليه أن يعود لإدماءِ السيّدِ أو يمضي ليشقّ طريقَ حريّته الناشئة بطيئاً ، بطيئاً .

من جسده ، ومن فكره ، وهما ما يزالان ضدّين ، تنزفُ نداوةٌ مريرة . والأشياءُ من حولِه أراجيحُ في الدم . فمتى يُصالحُ ويتَصالَحُ؟ متى يلِدُ؟ متى يُولَد؟

مكتبة الفكر الجديد

كالطفلِ تُرضعهُ الأمّ
في احتقانِ ثدي بذاته
حليبَها الطاهرَ ومخاوفَها
إلى الأبد .

مكتبة الفكر الجديد

يعرفُ أنّهُ إذْ يشحذُ القصيدةِ
في النهار هكذا وفي الليل
ليُطلقَها طفلاً في العالَم
فهيَ كسلاحِ المرتدّة
ما إنْ تنضجَ
حتّى تلتفتَ إليهِ لتقتلَه .

مكتبة الفكر الجديد

مراراً حاول
أن يُضلِّلَها في المدُن
من بيوتِ الفقراءِ المُتداعية
في «البتّاوين»
حتّى الحارةِ الاسبانيّةِ بطنجة .

كصغيرَين في شجار
كان يقولُ لها مراراً :
-أيا نفْس!
إن شئتِ أنْ تَسيري إلى اليمين
فإنّي لَمُيَسِّر ،
أو إلى اليسار ، فإنّي
لَمُيمِّن
ينبغي أنْ يختارَ كلٌّ طريقَه .

دائماً تتلمظُّ كمومس
أفلحتْ في ابتزازِ عاشقها لليلة .

منهُ في الطرُقِ ظلّتِ السابلةُ تَضحك .

مكتبة الفكر الجديد

-آهِ يا دنانيرَ هذه الروح!
آهِ يا دنانيرَ هذه الروح!
على أصابع الغواني تتفرّقين
والقلبُ يُنفَقُ في الجوع ليلَه .

مكتبة الفكر الجديد

تَخاطُـر

في الليلِ تلبسُ القصيدة
ثيابَ الغوّاصين
وتَخفّ إلى أنهارٍ جوفيّة
تحملُ منها
صخبَ سمَكِ المرجان .

ثمّةَ هواءٌ
بينَ الهواءات
منهُ تأتي
بفرَحِ الموتى
ومقاصلَ يُحوّلها أطفالُ النَفْس
إلى عرائس .

ثَمّ ، في ممالك ما-بَيْنيّة ،
تلتقط القصيدةُ استغاثات
تُطلقها قصائدُ أُخرى
يكتبها شعراءُ آخرون .
عندَما يُعربِدُ القلب
بحشاشته كلّها
يُدركُ الشاعرُ أنّ قصيدة
في العالَم تُكتَب .

مكتبة الفكر الجديد

كلّما شئتُ أن أنساكِ
يا أغنية
أحكمتِ مسْكتكِ القاهرةَ على حياتي .
شيءٌ كصرير الحيوان
الناشبِ في العصَبِ نابَه ،
أو كالمنشار الذهنيّ يحفرُ في سَريرةِ الفيلسوف ،
أو النعرة تتغذّى من دم الحكيم ،
مُلهبةً بأزيرها الحادِّ فكرَه ،
هكذا تراودينَني يا أغنية .

غلّقت الأبوابَ وقلتِ لي : «هيتَ لَك» .
سلاحُكِ الوحيد
ضعفي قدّامَكِ يا أغنية .
كالراقصة الاسبانيّة بَطلة ريلكه
تقذفينَ حولكَ ألسنةً من النار .
بغواية لا تُطاق
تُجعّدينَ يا أغنيةُ ثوبَك
الذي فيه تتعلّق ،
كالنياشين
على صدور المحاربينَ ، روحي .

مكتبة الفكر الجديد

وإنّي أبكي
لكنّ بكائي -وهنا المُفارقة-
يصّاعدُ كالضحكِ حتّى
لَيحسدني المارّة
على بَطَري والدنيا حرب .
وإنّي أضحك
لكنّ ضحكي-وهنا العجيبة-
يتعالى كالبكاء حتّى
ليؤاسيني جاريَ لابتئاسي .
والدنيا عيد .
أبداً تتضاربُ أحوالي يا أغنية
ولن أجدَ القرارَ أبداً .

وأنتِ تراودينَنني يا أغنية
غلّقتِ الأبوابَ وقلتِ : «أتيتُ لَك» .
منك ، منك
لا فكَاكَ أبداً
ولا عليك من سيطرة .
محالٌ أن أقدرَ
أن أسردَ تجليّاتك .
الأحرفُ فيكِ تتكاثف
في شاكلة إنْ كانت تتعذّر
على الوصفِ ، فأنا مع ذلكَ أُميّز

مكتبة الفكر الجديد

صريراً خاصّاً
أُدركُ أنّي لو اتّبعتُه
لعرفتُ أين يُقيمُ لغزُ حياتي .

سُلّمُ أنغام فيكِ يتعالى
وتنويعةُ أصْوات ،
أشبهُ ما تكونُ بكركرة سحريّة
لو قيّضَ ليَ الانسلالُ فيها
فعَسايَ أطوّعَ الموتَ–موتي .

لكنّي لا أفقهُ من تداعيكِ شيئاً
ولعلّ عدمَ الفهم هذا نفسه
هوَ ما يجعلُ تواصلَنا ممكناً
يا أغنية .

إنّي حائر
ولعلّي أبتكركِ لأزيد
فضاء جنوني
وأنا من قبلُ بلا بصيرة
ما يَفْقهُ الناسُ بلمحة من البصر
أضعُ في تهجّيه عمريً بأكمله .
إنّي مسحورٌ يا أغنية
إنّي مجنون

مكتبة الفكر الجديد

يا مَن غلّقتِ الأبواب
غلّقتِ الأبوابَ وُقلتِ : «كَمنتُ لَك» .

مكتبة الفكر الجديد

آه كم صخبوا
في انتظار الكلامِ الوحيدْ
الذي لا يُعزّي
ولكنّهُ إذْ يجيء
يهَبُ المرءَ في كلمةْ
ما تَعَجّلَهُ الدمُ طولَ حياة!

آه كم صخبوا
جاهلينْ
أنّ ليلَ القصيدة بالصّنْج ليسَ ليَعْبَأْ
إنّهُ ورقٌ صامتٌ يُدرك الكلُّ فحواهُ إلاّ
هواةُ طبولِ الكلامْ .

مكتبة الفكر الجديد

الشلّة

في الدويّ
جلسوا
في الدويّ
أنشأوا للكلامِ أحابيلْ
في الدويّ
كشفوا عن نيوبِ الصداقةْ
في الدويّ
صوّتوا ضاحكينْ
في الدويّ
قبّلَ الواحدُ التّاليا
في الدويّ
إستدارَ لِيَلمزَهُ (القبلةُ الآنَ للثالثِ اتّجهتْ)
في الدويّ
شعروا بالنعاسْ
في الدويّ
إنتهوا نائمينْ .

معَ الليلِ كانتْ ظلالُ القُبَلْ
والشتائمْ

مكتبة الفكر الجديد

تتنقّلُ فوقَ وجوهِ النيامْ
بحسبِ هوى الانفعالْ
الذي
ما يزال
يُجمّدُ بعضَ الملامحِ
دونَ دويّ .

مكتبة الفكر الجديد

في المسافة نحوَ الإسفلت ، متدحرجاً من الطابقِ الثامنِ حيثُ أُقيمُ ، يتفتّحُ لي الكونُ ، أنا المنتحر ، باقةً من الزهر تتفتّحُ عن ألفِ باقة .

في كلّ وريقة ، كنتُ أرى واحداً من أيّامي ، ولشدّ ما دهشتُ إذْ رأيتُ إلى أيّام التعاسة وهيَ تفوقُ ، بأضعاف المليون ، اللحظاتِ الهيّنةَ من الحبور التي أُتيحَ للكائنِ الذي يُخاطبكمُ الآنَ (ألا مَن أنتم؟) أن يشهدَها .

وإذا بي أفكّرُ ، لا دَفعاً للانتحار وهو يغذُّ في تنفيذ نفسه كمشروع صارم ، لكنْ لأنّ الحقّ لا بدّ أن يُقالَ ، أفكّرُ بأنّ كائناً شهدَ كلّ هذه التعاسةِ ولم يخجلْ من شرطِ الكائنِ الذي كانَ شرطَهُ ، لهوَ لا محالةَ قدّيس .

فتمنّيتُ لو أنّ معجزةً حصَلتْ ، ولو انّي رجعتُ للشرطِ نفسه ، أقبّلُ كلّ لحظةٍ من وجوديَ التعيسِ ، حاملاً المشعلَ (أيّ مشعلٍ؟) بعيداً ، بعيداً .

حتّامَ ياتُرى سيتأخّرُ الارتطامُ ، وكم سيكونُ غايةً في اللطافة أن يحافظَ الإسفلتُ على المسافةِ بيننا التي تبدو لي الآنَ غيرَ متناهية!

مكتبة الفكر الجديد

-١

الايغالُ في حياة الكلمات . حياةٌ من كلمات ، تُؤْثرها على صحبةِ أربعة أخماسِ هذه البشرية التي رأيتَ إليها وهيَ تتجرجرُ في عَتيّ مفارقاتها المريرة .

في المتر المربّع نفسه ، أنتَ تعدو . تدفعكَ الارادةُ بعدُ-الموتيّةِ إلى إنسانكَ الجديد . الحاضرُ جسر . جسرٌ متخلّع . تعبرهُ وأنت لا تعرف إنْ كانَ سيصمدُ حتّى نهايةِ العبور ، أم سَينهارُ في منتصفه . وإذا ما تقوّضَ ، فسيلزمُ السباحةُ في قلب الوحل . بمنخر لا يضاهيه إلاّ مِصْفارُ الريح ، ستبلغُ هواءً أنقى . ستجدُ في انتظاركَ حفنةَ ملائكة . بلا تجليّات ولا نصوص ، ستُقيمون القدّاسَ بسرعة ، وتُعمّدون كلَّ واحد نبيّاً : هكذا تبطلُ النبوءةُ ، ويصيرُ سانحُ اللغةِ حوارَ نبوءات . في المتعدّد . في المجموعيّ . في المُطلقِ ، المطلقِ ، المطلقِ الكبير .

-٢

ما هاجسُكَ الأغلى لديكَ؟ ما تجربتُكَ التي صمدتْ في ثنايا روحكَ رغمَ جميع عقاقير النسيان؟ ما الصدمةُ التي تدينُ لها بفرادتك؟ ما وَجعُكَ ، ما لغزُكَ ، ما مسافتُك؟ هذه هي الأسئلةُ التي ينبغي طرحها على الشخص . فإذا ما تلعثمَ أو احتارَ في الاجابةِ ،

مكتبة الفكر الجديد

فستصغي له . وإذا ما ركبَ مطيّة الفصاحة وراح يحدّثكَ عن ماضٍ لا حَبّةَ من الشعر فيه ، فستقول له : «رأيتُكَ ، ولن أراك» .

-٣

الانسانُ شجرة . تَنْغرس . لكنْ لأنّ الانسانَ حركةٌ أيضاً ، فشجرتهُ ، كشجرة المغوليِّ التي يتحدّث عنها پيرس ، تهاجرُ حاملةً معها في السير حيّزاً من الفضاء الذي تسكنُه . يهاجر الكلُّ ، ومعه أسانيدُه كلّها . ما يقبعُ أبعدَ من مدى انتظاركَ هو ما يُغذّيك .

-٤

حبلُ سرّةٍ هيَ اللغة . فإلى أيّ رحم تُحيل؟

في المجهوليّة نُجازف . ما نخسرُ إذ تنكفيء العبارةُ هو بضعةٌ من القلب المتجدّد والكلّيّ . وراء كلّ عبارة غيرِ مقولة ، ثمّةَ كيانٌ يقرعُ ويطالبُ بحصّته من العشاء الذي لن يكونَ أبداً الأخيرَ ، ما دامت القصيدة لا تقبل بينَ ظهرانيها إسخريوطيّاً . القبلةُ التي تُميتُ ليستْ من أعرافها . كلّ لمسةٍ هي هنا حياةٌ ، واللوعة نفسها هاتفٌ للحياة . هكذا لا أفدحَ من خيبةِ مسعى مَن يظنّ أنّ من سجيّةِ الشاعرِ أن يُدهش . أو أنّ فراغ القصيدة يمكن أن يجد في سوى القصيدة مَلاءَه . بعضهم يدير مشاريعَ ، والآخرُ يُندّد . هذا يتلمّضُ بالقول وذاكَ يُروّج لبضاعته . يتامى قصيدةٍ ، كلّهم . والأكثر يُتماً من لَمْ يكتشف قبلَ فواتِ الأوانِ خَطَلَه .

مكتبة الفكر الجديد

-٥

العبارةُ التي تصمدُ ، الفراغُ الذي يتضوّأ . الأوجهُ المحسوبةُ منسيّةً ، والتي تُعاودُ الانبثاقَ على غيرما انتظار ، ذاتَ حلم أو استفاقة . أنتَ في هذا الفندق شبهِ المجهولِ في ضاحيةٍ من كاراكاسَ . تعاشرُ فتاةً إنجليزيةً اختطفتَها مُنْ سربِ مترجمين فوريّين . تُجاهد الفتاةُ من أجل بلوغ ذروةٍ ولا تَصل . تصرخُ بكَ : «كنْ أبي» . تمسكُ بها ، صدفةً ، من نقطةٍ في فَقارها ، وإذا بكَ تنسفُ بمجرّد هذه الحركة سدوداً في داخلها . كأنّكَ قبضتَ على موضع السرّ في هذه الجرّة المجهولةِ من لدن سكّانها . مَنْ يَمنحُ لكلّ كائنٍ الحركةَ المُصادفةَ أو الملأى بعبقريّة الزمان ، حركة تُطوِّح ، ذاتَ صباحٍ ، في فندقٍ ما في ضاحيةٍ ما في العالَم ، بِسدود كيانه؟ ولمَ يا ترى انعقدَ السرُّ عنْدَ هذه النقطة بالذات؟ هل أُمٌّ طبعتْ هنا قبلةً أبرَمتْ بها ميثاقَ الأصول؟ هل أبٌ جاءَ في الليلِ منبثقاً من دوّامة أرقه ، وألقى هنا بمداعبة ، ثمّ ، بعدَ تنهّدة من الصغيرةِ ، وجدَ إلى النوم دربَه؟ هل أحدٌ ألقى هنا بحصّة من العنف جعلت الكيان كلّه يتجمّع عندَ هذه النقطةِ من الجسد ، التي صارتِ الأكثر أثيريّةً لأنّها الأكثرُ عذاباً؟

-٦

العطورُ ، اللمساتُ ، الأصواتُ وكلّ ما يُرى : ههنا يقبع ، أيّها الشاعرُ ، كنزُك . إليها فلتهرَعْ . كشّافاً ، سائلاً السرّ ، مُستنطِقاً . هيَ حواملُ ضميرٍ ، هيَ مخابيءُ رؤية .

مكتبة الفكر الجديد

-٧

يولد الشعر في الحمأة الأصليّة ، في الغياب ، في الكلام المستعصي .

يسبر الشاعر غورَ حلمه ، يتداعى مع العصر ــ أغلبَ الأحايين ضدَّه . يتمنّى الرفاق موتَه ، ولكنّه متضامن مع الكلّ .

يرفس الشاعر كتلة الفراغ الروحيّ فتغور في القاع بقدر جيلَين . أحياناً ، فيما يصارع الفراغ ، فراغاً على فراغ ، تتجمّد على وجنته دمعة مضيئة ما هي بثمرة بكاءٍ متخاذل .

-٨

بفضلِ رسائلِ الشاعرِ إلى الكون
يحدُثُ أنْ يَعْدِلَ كوكبٌ فالتٌ من مدارِهِ عن قرارِه
بإحراقِ الأرض .

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

من قصائد البدايات

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

زُرقة

أنتِ تبتلّينَ بالحزنِ الذي يأتي فَجاءةْ
غادرتْنا
سفُنُ الأمواتِ ، والأحياءُ مرّوا
دونَ أن يُلقوا تحايا الذاكرةْ
خلفَ عينيكِ سماءٌ ماطرةْ
بدمِ السرّ الذي أدعوهُ حبّي
وسَماءٌ
خلفَ عينيكِ أُسمّيها البراءةْ .

الناصريّة ، ١٩٧٢

مكتبة الفكر الجديد

يجيئون، أبصرُهم..

- إلى عليّ جعفر العلاّق

زمانٌ
تُعمّدُ نارُ المتاريسِ فيه الصبيَّ المباركَ بالقتلِ مثلي
وتكونُ الرصاصةُ فيه الوصيَّ . . .

يجيئونَ ، يفتتحونَ المدى الطفلَ بالنارِ-نحنُ وقوفٌ
نَهيمُ بأشرعةٍ من نسيجِ المُحالْ-
ويخطّونَ في جرحنا مُدُناً ومالك . . .

هكذا هرِمَ الظلّ ، غارَ اللظى في الدماءِ الوجيعةْ
هكذا اندلعتْ في الممرّاتِ ريحُ الفجيعةْ
فمَنْ يملكُ الآنَ أنْ يُطلعَ الشمسَ من جُرحهِ ثانيةْ
ويكتبَ بالنارِ مزمورَ أيّامهِ الآتية؟

الناصريّة ، ١٩٧٢

مكتبة الفكر الجديد

سليمان

-إلى عقيل علي

قالوا لهُ : نسرقُ ماءَ الوجْه
أو تبهر الحرّاسَ بالكلابْ
لكنّهُ يذكرُ أنّ بينَهُ
وبينَ أنْ يمنحَ ماءَ الوجْه نارْ
وفسحةً من حلُم تكبرُ كلّما خَطا
بين قلاع حزنهِ ومُدُنِ الإبهارْ

بوقفة طويلةْ
وحزْمةٍ من تعب أراكْ
ترقبُ أن يلينَ قلبُ حزنكَ الفتّاكْ

تسألُ عن خاتمة الحكايةْ؟
تبحثُ عن بابٍ لهذي الريحْ؟
بشرف العبارةْ
ليسَ سوى أن تُحرقَ الخيطَ وتلغي الدربْ
ليسَ سوى أن تكسرَ السلّمَ نحوَ الربّ
ثمّ تروحُ سادراً في البَرّ تُعلي لهبَ البشارةْ .

الناصريّة ، ١٩٧٣

مكتبة الفكر الجديد

مرثيّة الطفولة

الآنْ
وقد تلاشى شبحُ الطفولةْ

(كان ملاكاً أخضرَ الجناح ، ينداحُ غناءُ عاصفٌ منهُ ، أراه نازلاً بين الضلوع نجمةً ، زهرةَ توت ، أخضرَ الجناح نستظلّ بالرفيف منهُ ، كنّا نجمعُ الأعشابَ والقنانيَّ الفارغةَ ، السجائرَ العامرةَ الأعقابِ ، نستعجلُ أن نكبرَ والشطوطُ تستطيلُ) ،

الآنْ
وقد طرقْنا باكراً مدائنَ الكهولةْ
وجَرَحتْنا جمرةٌ بين الضلوع نستفيقُ مُفزَعينْ
تُعشبُ فينا نارها أغنيةً مُرّةْ

الآنْ
وقد هزَزنا شجرَ الأحزانْ
فاسّاقطَ الحصى وما أطبقتِ الكفّ على زهرةْ

الآنْ
لا بدَّ أن يفيقَ رامبو طافحَ الجبينْ
بقمر الطفولةِ الميتةْ
لا بدَّ أن يجيء قومُ التعَب الليليّ والموتِ ببابِ حانةْ

مكتبة الفكر الجديد

قومي أنا
قومي أنا
نصرخُ بالزمانِ : محظيّوكَ ، نبكي أبداً
نموتُ بالجنون ، نعرى ، نتلاشى ، إنّنا لا شيء .

الناصريّة ، ١٩٧٣

مكتبة الفكر الجديد

مقاطع بغداديّـــة

١-في الطريق إلى المدن

دائماً في الطريقِ الى المدُن
ثمّةَ حلْمٌ يسوطُ الخطى المُنَهكةْ
دائماً في الطريقِ الى المدُنِ
ثمّةَ وجهٌ حسير
تداعبهُ ضجّةٌ في الغياب
وتغويه ساحرةٌ لا تُرى
دائماً في الطريقِ الى المدُنِ
ثمّةَ وجهٌ ينوء
بـأعبائه ويسمّى عناءَ السّفَرْ
جوازَ المرور الى العاشقةْ .

٢-غربة

يا لَهذا الغريبِ الذي حينَ غنّى
أراحَ ،
ولكنّهُ ما استراحْ!

مكتبة الفكر الجديد

٣- الحالة

إنّها حالةٌ من بكاء عجيبْ
إنّها حالةٌ من مطَرْ!

بغداد ، ١٩٧٥

مكتبة الفكر الجديد

شارداً كانَ حتّى من الوقتْ
شارداً لا يتخفّى على مُعضِلةْ

قالَ : ذي عطلةٌ ونهارٌ-سديمٌ
وحاشيةٌ من هلاس ، وصمتٌ يجوب
ويُحطّمُ قارورةَ الأسئلةْ

كانَ يَبعدُ عن نفسهِ
كانَ يغزلُ من نفسهِ
وشيعةْ
لصعود السرائر ، كانْ
يتوهّمُ من وجدهِ الحجرا
قبّرات وديعةْ
أُصصاً غامضات ، دماً ، شرَرا
كان يحسبُ من وجده الصحارى
تهَبُ المطرا
والسعادات ، قد كانَ يختضُّ من وجدهِ ،
كانَ في الشيء يفنى
ويحسبُ أنْ صارَ يدنو
من اللاّ-مكانْ .

مكتبة الفكر الجديد

آه ، من كثرِما اتّعظا
صارَ يحلمُ فَي أنْ يعقّ ، ومن كثرما مَرِضا
خرقةً صارَ مبلولةً بالحنينْ .

ليسَ بالطالبِ المستحيلْ
إنّ جنّتَهُ الممكنُ
آه لو تُوقنُ
إنّ جنّتَهُ الممكنُ .

باريس ، ٢٠-١٩٧٦/٨/٢١

مكتبة الفكر الجديد

فلول

كنتُ في غابِ «بولونَ» تفرشُ دربي إليه :
فلولٌ من الورق المُتساقِطِ والطيرِ والنسوةِ المُثْقلاتْ
بريح صباح مضى وصباحُ سيَمضي ،
وفلولٌ من الحُلم ، والذِّكرِ الناتئاتْ .
وفي غابِ «بولونَ» جَمْعٌ غفير
تعشّى بأحزانه ، وارتَحَلْ
ولكنّني كنتُ وحدي الذي يَتَمَرْأى أمامَ الشّجَرْ
يُراقِصُ مثلَ السعادين ظلّهْ
ويطفرُ محتفلاً كلّما لاحَ شيء
يُذَكّرُهُ بانتظار السعادة ، كان المطَرْ
يبلُّ الثيابَ القَصيرةَ ،
والنسوةُ المثقلاتُ بريح يُرَدِّدْنَ :
«-لَوْ لَمْ نفاجَأْ بهذا المَطَرْ!»
آه جيء ثانياً يا مَطَرْ
فأنا ، حاسرَ الرأس ، راقَصْتُ وَسْطَ انهمارِكَ ظلّي
ولَوّحْتُ للريح :
سِرْبٌ منَ الورَقِ الطائرِ-الورَقِ المتهاوي
تَرامى عَلَيّ
وَسِربٌ من الطيرِ أقعى هنا وارتَحَلْ
وَسِرْبٌ من النسوة المثقلاتِ بريحٍ عبَرْ
وما كنتُ إلاّ أسيرَكَ ،

مكتبة الفكر الجديد

لا لستُ مَنْ يحتَمي من رذاذ
ويغمضُ من رعشة البردِ عَيْناً
فما لي عيونٌ لأُغضي
وما لي سواعدُ للاحتماء :
إنّني لَمْ أكُنْ آدميًا
لم أكنْ من دم ، لم أكن أيّ شيء
كنتُ يا سيّدي وَرَقَةْ
نصفَ مطويّةٍ في المَهَبّ .

باريس ، أواخر ١٩٧٦

مكتبة الفكر الجديد

كتبتُ لكم عن بلاد

كتبتُ لكم عن لقى غاليةْ
عن جواهرَ عادَ بها المدُّ ، ثمّ كتبتُ لكمْ
عن فصول الكلام
وعن جزُرٍ داخليّة .

كتَبتُ لكم ،
وكتَبتُ لكم ،
وكتَبْت .

كتبتُ لكم
عن مواعيدَ غامضةٍ
بينَ قلبينِ بينَهما
مدنٌ وحدودْ .
كتبتُ لكم عن طيورْ
وَكتبتُ لكم عن بلادْ .

كتبتُ لكمْ ،
هل يضيعُ الذي قد كتبتُ؟

باريس ، ١٩٧٧

مكتبة الفكر الجديد

المحتـــوى

- إشارة 5

المجموعة الأولى
مرثيّة نفسي وقصائد أُخرى

- مرثيّة نفسي 9
- في الظلام اليقينيّ 17
- جُزر الداخل 27
- مساءات 29

المجموعة الثانية
أغاني جنون الكائن وقصائد أُخرى

- صورة لأمّي 35
- الصرخة 36
- المارّون 37
- تحوّل 38
- اللّوثة 39
- في الكلمات 40
- لعنات 41
- الأب أنطونيو فلورَس 42
- تحيّة إجلال إلى ع ع . 43

169

مكتبة الفكر الجديد

- عدالة 44
- غُرَبـاء 45
- الطلقة 46
- بحثاً عن إجابة ممكنة 47
- صحارى بلا حدّ 48
- إلى الأمّهات 49
- تمارين في العوم 50
- عِبارة 51
- معالِم 52
- يقظة 53
- قصيدة «عندما» 54
- سرّ الموسيقى 56
- أخٌ قديم 57
- ريفيّة 58
- تكريس الكيان أيّاً كانَ عدَمُه 59
- إلى امرأة 84
- ثلاثة شعراء 85

المجموعـة الثالثة
عراقيّـــــات

- عراقيّات 91
- ساعة الانتهاء من كلّ شيء 95
- غسيل الموتى 102

مكتبة الفكر الجديد

- وصايا للعراق 104
- مسيرة أُمّي 105
- تقريظ الأشباح 106
- مرثيّة أحمد أمير 108
- كلمة في رحيل الأب وسطَ هالةٍ من النور 115

المجموعة الرابعة
تدابيـــر سفَرٍ قـــادم

- فنّ شعريّ 119
- تدابيرُ سفرٍ قادم 120
- موقف التوديع 122
- فنّ شعريّ (٢) 124
- أعباء الشاعر 125
- مديح الأعمال 126
- نصائح لطرد العُصاب بسُرعة 127
- «أليغوري» 128
- ألمريّـة 129
- في الشوط فقدَ قولَه 131
- دليل المهاجر الجديد 132
- فنّ شعريّ (٣) 133
- إخوة يوسف 134
- هبوط القصيدة 135

مكتبة الفكر الجديد

- متى يُولَد 136
- الشاعر 137
- «بومرانغ» 138
- النَفْس 139
- تَخاطُر 141
- خطاب المسحور 142
- الأصحاب 146
- الشلّة 147
- فيما أنتحِر 149
- في الطريق إلى القصيدة ، بضع خطرات 150

من قصائد البدايات

- زُرقة 157
- يجيئونَ ، أُبصرُهم . 158
- سليمان 159
- مرثيّة الطفولة 160
- مقاطع بغداديّة 162
- شارداً كان حتّى من الوقت 164
- فلول 166
- كتبتُ لكم عن بلاد 168

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

العالم كله حافة

مكتبة
الفكر
الجديد